
دراسات
استراتيجية
حيدر بدوي صادق
مستقبل الدبلوماسية
في ظل الواقع الإعلامي والاتصالي الحديث
البعد العربي
تصوير
أحمد عقيل
والبحوث
مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

دراسات استراتيجية

مُسْتَقبل الدّبلُومَاسِيَّة

في ظِلِّ الواقِعِ الإعلامي والاتصالي الحديث

البُعْد العربي

حيدر بدوي صادق

العدد -5-

تصدر عن



مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

محتوى الدراسة لا يعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المركز

الطبعة الأولى 1996

توجه جميع المراسلات إلى مدير التحرير على العنوان التالي :
دراسات استراتيجية - مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية
ص. ب : 4567، أبوظبي
دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف : 722776 - 9712؛ فاكس : 769944 - 9712

Scanned by TapScanner

المحتويات

الصفحة

مستقبل الدبلوماسية في ظل الواقع الإعلامي والاتصالي الحديث البعد العربي

لاريب أن العرب واقعون فى مأزق حضاري شديد الحرج، فقد حلت بهم هذه الموجة (المعلوماتية) العارمة، في حين أنهم مازالوا يعانون من أقصى درجات التشتت والفرقة، مهددين باضمحلال كيانهم القومي، تحت وقع ضغوط خارجية شديدة وقيود داخلية صعبة. فكيف لا نفزع ونحن نسمع أن دولة كبرى كبريطانيا تخشى الهبوط إلى مصاف دول العالم الثالث، نتيجة لاضمحلال مصادر قوتها الاستراتيجية في عصر المعلومات. وكيف لنا أن نهدأ ونحن نسمع وزير خارجية فرنسا يحذر من الإمبريالية الثقافية (الأمريكية) الوافدة إليهم عبر المحيط الأطلنطي. وإذا كان هذا حال فرنسا - التي تُعد منارة العالم الثقافية - فما بالنا نحن العرب، خاصة وأن قدراتنا على التصدي.. ضامرة للغاية [1].

مقدمة

تم اقتباس النص السابق من كتاب «العرب وعصر المعلومات» لنبيل علي (1994) . وعلى الرغم من أنه لم يرد فى سياق الحديث عن الدبلوماسية

العربية، فإنه يبرز التحدي الذى يواجهها بشكل جلي. فهو يتناول "الكيان القومي" العربي ومؤشرات اضمحلاله (التشتت والفرقة)، ويتحدث عن "ضغوط خارجية" تواجه الأمة العربية، كما يتحدث عن "القوة الاستراتيجية" التي يتيحها التسلح بأدوات العصر المعلوماتي. ويشير كذلك الى "الإمبريالية الثقافية" التي تخشاها فرنسا، مع أنها أكثر دولة عُرفت بنهجها الصارم في فرض ثقافتها على مستعمراتها السابقة. كما يشير إلى خشية بريطانيا من أفول نجمها، بعد أن غربت عنها الشمس، بسبب اضمحلال قدراتها المعلوماتية، إزاء القوة الاستراتيجية التي اكتسبتها الولايات المتحدة واليابان بتطوير قدراتهما الاتصالية، بشكل لم يسبق له مثيل، خلال النصف الثاني من القرن العشرين. وإذا تمعّنا في عبارات "القوة الاستراتيجية" و "الكيان القومي" و "الضغوط الخارجية" و "الإمبريالية الثقافية"، "والعصر المعلوماتي" فإننا ننفذ إلى جوهر التحدي الذي يواجه مستقبل الدبلوماسية العربية، الهائمة فى تيه النهج التقليدي للعمل الدبلوماسي.

ليس من أهداف هذه الدراسة التقويم الشامل للواقع الدبلوماسي العربي، لأنه ليس في أيدينا مادة مستقاة ميدانياً لإجراء تقويم علمي لهذا الواقع. وقد يصبح ذلك متاحا حين يهتم العالم العربي - بشكل أوسع - بالبحث العلمي في مجال الدبلوماسية والعلوم الاستراتيجية، ويرصد لها الإمكانات اللازمة. أما المتاح للباحث الآن فهو النظر في واقع "التشتت والفرقة" الذي يكتنف العالم العربي، مما يشير إلى تقاعس الدبلوماسية العربية عن أداء أبسط أدوارها وأيسرها، وهو رأب الصدع العربي وتعميق

الوفاق. فإذا لم تستطع هذه الدبلوماسية أن تستثمر وحدة الدين واللغة والتاريخ والجغرافيا لخلق وفاق عربي، ولا نقول وحدة عربية، فكيف لها أن تطور وتدير علاقات لصالح العالم العربي مع العالم الخارجي؟ ومن لا يستطيع إنجاز اليسير الهين لا يستطيع إنجاز العسير العظيم، فى مواجهة الموجة المعلوماتية العارمة المهولة التي اعتلى سنامها "الآخر"، مقتحماً المجال العربي بقسماته السيادية / السياسية، والاقتصادية، والثقافية / الحضارية، والاجتماعية.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى:

1. إعطاء خلفية عن تاريخ الدبلوماسية التقليدية ووظائفها، وربط تطورها بالدبلوماسية الحديثة والمعاصرة.
2. استكشاف أبرز التأثيرات التي أحدثتها ثورة الاتصالات على وظائف العمل الدبلوماسي، في ظل تغير البيئة الإعلامية الدولية، بفضل التطور الكبير في تقنيات الاتصالات ونقل المعلومات.
3. وضع التغيرات التي شهدتها وظائف الدبلوماسية في سياق تطور نظرية «التبعية البنيوية»، بإضافة بُعد جديد لمجالات النظرية (البعد الدبلوماسي)، وإضافة بُعد نظري حديث لفهم جديد لدبلوماسية القرن الحادي والعشرين. ولتحقيق هذا الهدف يستند الباحث إلى دراسة نظرية أجراها باللغة الإنجليزية، عن الأقمار الصناعية وتأثيرها في الدبلوماسية والعلاقات الدولية[2].

4. امتداداً للهدفين الثاني والثالث، وللدراسة السابقة المشار إليها فى النقطة (3)، يهدف الباحث كذلك إلى فهم وشرح المغزى العربي لتطور وسائل الاتصال والمعلوماتية، في سياق تطور النظرية الاجتماعية ـ السياسية (Socio - political Theory)، وخاصة على المستوى الدولي. وهنا لا بد أن نشير إلى ضرورة التتابع والتطوير في البحث العلمي، اللذين يفتقر إليهما بعض الباحثين في العالم العربي. ففي خضم الحرص على النشر بأي وسيلة (لأسباب مهنية بحتة) ينسى الكثيرون متابعة الأفكار الأولية الأصيلة التي نشروها في بحث ما، ويتوجهون لكتابة بحوث أخرى، في موضوعات أخرى، لإنتاج أفكار "أولية" أخرى. وهكذا تموت "الأفكار الأولية الأولى" لعدم تطويرها ومتابعتها، وتموت "الأفكار الأولية الأخرى" للسبب نفسه، وستكون هذه الدراسة محاولة لتجاوز هذه العلة في البحث العلمي العربي. وذلك بتطوير "الأفكار الأولية" التي تم تناولها في الدراسة المشار إليها سابقاً، وملاءمتها ومتابعتها في سياق واقع الدبلوماسية العربية والتحديات التي تجابهها. ونكرر هنا أن هذا الهدف - الرابع - لا يُعنى بتقويم واقع الدبلوماسية العربية تقويماً علمياً شاملاً في ظل الواقع الإعلامي والمعلوماتي الدولي الجديد، بل يُعنى بالنظر لهذا الواقع الجديد، بهدف فهمه، حتى نستخلص مغزاه العربى فى ظل ضعف "الآلة الدبلوماسية العربية"، إن صح التعبير.

نشأة الدبلوماسية وتطورها : نبذة موجزة

تتعرض الدبلوماسية - مثلها مثل بقية النشاط البشري - للتغير فى المفاهيم والوظائف بتطور المجتمع البشري وتعقُّد نُظُمه، وتكوينات هذه النظم وتفاعلاتها مع بعضها البعض. والدبلوماسية - بمعنى التحاور والتبادل والتواصل الإنساني - قديمة قدم المجتمع البشري، إذ من دونها ما كان للمجتمع أن يكون. و هذا يعني أن العلاقة بين الأفراد - عند نشأة المجتمع البشري - قامت على أساس تفاوضي تبادلي، فيه أخذ ومقابله عطاء، فيه تناول وتنازل. وبعد فترات سلم، قد تطول وقد تقصر، يشتد عود البعض فيشكل جماعة ذات مصالح مشتركة، يؤدي تعاونها إلى التفرد بالخيرات والاستئثار بها، والاعتداء على ثروات وخيرات الآخرين، مما يؤدي إلى الحرب. وبين فترات الكر والفر والإقدام والإحجام، يدرك بعض الحكماء ضرورة التفاوض والتحاور. فالبعض يحاور ويفاوض من واقع "الإكراه"، والبعض الآخر من موقع "المهادنة" أو "التسوية". وهكذا نشأت "الدبلوماسية" ومعها "الحرب"، وظلتا متلازمتين إلى يومنا هذا. وبالطبع لم تكن المسألة بهذه البساطة، ولكن غرضنا هنا التبسيط لفحوى الدبلوماسية وروحها.

فالدبلوماسية بالمعنى الذي وضحناه قديمة جداً، إلى درجة يصعب معها رصد النشأة الأولى لها. ولذلك لن نشغل أنفسنا - في سياق ما نهدف إليه - بالتأريخ الدقيق لهذه النشأة بل سنكتفي بسرد تطورها بشكل

عام عند اليونان والرومان والبيزنطيين، ودويلات المدن الإيطالية، وعند العرب بعد قدوم الدعوة الإسلامية، ثم نتناول الدبلوماسية الحديثة التي تطورت في القرون الثلاثة الأخيرة، كمدخل للحديث عن الدبلوماسية المعاصرة ومستقبلها.

كانت الدبلوماسية بدائية للغاية في أيام الإغريق الأولى. فقد كان ما يُعرف اليوم بالدبلوماسي يسمى بالمنادي (Herald) وكانت من مهامه تمثيل دولة المدينة (City State) وإدارة شؤون القصر الملكي والمحافظة على النظام في الاجتماعات. ولم تكن مؤهلاته تتعدى الذاكرة القوية والصوت الجهوري [(3)]. ومع تشعب مصالح المدن الإغريقية، لم تعد وظيفة المنادي وراثية، ولم تعد المؤهلات السابقة تكفي. فقد أصبحت البلاغة وحسن الخطاب مؤهلات ضرورية. وأصبح سفراء دويلات المدن يُختارون من بين أبرع الخطباء والمحامين ليقوموا بدورهم في التصدي بالحجة، في المناقشات العلنية، لنظرائهم من المدن الأخرى. ولارتكاز هذا النظام الدبلوماسي الوليد على الخطابة والمراوغة في الكلام والإطناب فيه، لم ينجح كثيراً في أداء مهمته، إذ أصبح الترصد للطرف الآخر ومحاولة الإيقاع به لأي هفوة كلامية هدفاً في حد ذاته، مما شغل السفراء عن مهمة تطوير مصالح المدن التي يمثلونها وحمايتها. ولكن يحسب للإغريق أنهم أسسوا نواة الأفكار الدبلوماسية وتقاليدها، بخاصة نظام الحصانة الدبلوماسية[(4)].

أما الرومان فقد أدى تفوقهم العسكري إلى فرض إرادتهم على المهزومين، عن طريق تطوير نظام المعاهدات وكيفية عقدها، ثم الالتزام بها واحترامها. وهنا تكمن إضافتهم للنظرية الدبلوماسية. فقد طوروا مفهوم

إبرام العقود والمعاهدات، واحترامها بعدم خرقها، على الرغم من أنهم كانوا في الغالب الأعم الطرف الأقوى الفارض للاتفاق أصلا، وبالتالي القادر على خرقه. ولم يكن مفهوم "التفاوض" بالمعنى الحديث، قد دخل بعد في قاموس التعامل الدبلوماسي. فقد كان الرومان يخيرون من يدخل معهم في نزاع بين أمرين، إما القبول بمشروع معاهدة في موضوع النزاع، وإما الرفض (ويعني الحرب). وهذا التعنت الروماني أدى إلى فشل دبلوماسيتهم. ولكن على الرغم من هذا الفشل للدبلوماسية الرومانية فإنه يحسب لها الإسهام في تطوير فكرة "قدسية المعاهدات".

أما البيزنطيون فقد دفعهم ضعفهم إلى التفاوض، الذي أعرض عنه الرومان لقوتهم. وقد حذقوا فنون التفاوض للمحافظة على كيانهم وملكهم، وبذلك استطاعوا أن يستعيضوا عن النقص في السلاح والعتاد. فبالتفاوض والإقناع حموا مصالحهم وأمنوا شر الشعوب المحيطة بهم، والمتوثبة دوماً لغزو أراضيهم. ولتحقيق مصالحهم لجأوا إلى تأليب الأطراف الطامعة في أراضيهم بعضها على بعض، بإقناعها بأن مصلحة طرف ما تكمن في معاداة الطرف الآخر ومصادقة الإمبراطور البيزنطي. وتحقيق هذه النتيجة كان يتطلب مفاوضين بارعين متمرسين، وكان يتطلب جهازاً دقيقاً لجمع المعلومات، ومعرفة ما يجول بخاطر الأعداء، وتقصي أخبار اتصالاتهم وتقاربهم واحتمالات تحالفهم، لتفادى الخطر قبل وقوعه[5]. ويحسب للبيزنطيين أنهم أدخلوا نظام السفارة الدائمة، وأضافوا لمهام السفير جمع المعلومات ودراستها وتحليلها، وتقصي اتجاهات الأعداء وكتابة تقارير دقيقة عنهم. كما يحسب لهم، نتيجة لما سبق، ظهور الدبلوماسي المحترف.

أما دويلات المدن الإيطالية، فقد أخذت الفن الدبلوماسي من البيزنطيين ونقلته إلى بقية أنحاء أوربا. ومُثلت البندقية دبلوماسياً في بقية المدن الإيطالية، ثم مُثلت في فرنسا وإسبانيا وإنجلترا وأنحاء أخرى من أوربا. ولذلك فالبعض يؤرخ لبداية الدبلوماسية الحديثة بازدهار النشاط الدبلوماسي لدويلات المدن الإيطالية، في القرن الخامس عشر الميلادي [6]. فقد أنشأت البندقية جهازاً دبلوماسياً دقيقاً، تميز بحسن التنظيم والدقة في جمع المعلومات، وحفظ الوثائق وتصنيفها، وحسن الإعداد للتقارير والرسائل، ووضعت اللوائح والضوابط التي تحكم تعيين السفراء ومراقبة تصرفاتهم ومدة خدمتهم. وقد أضاف قيام الدولة العثمانية حافزاً قوياً لتطوير العمل الدبلوماسي في البندقية، بعد أن سقطت القسطنطينية في يد الدولة العثمانية عام 1453. إذ وجدت البندقية نفسها مضطرة للتوجه إلى بقية أنحاء أوربا (المسيحية مثلها) لتوسيع علاقاتها، وحماية مصالحها معها من جهة، ولتأسيس علاقات تجارية مع قوة جديدة غير مسيحية، هي الإمبراطورية العثمانية. وهنا يجدر أن نشيرإلى أن الفاتيكان أرسلت أول سفير لها إلى الدولة العثمانية عام 1500. وبحلول القرن السادس عشر أصبح وجود البعثات الدبلوماسية الدائمة في العواصم الأوربية مشهداً مألوفاً ومعروفاً.

أما العرب فقد عرفوا كلمة "سفارة" قبل الإسلام، وقد استعملت هذه الكلمة فى تمثيل القبيلة لدى القبائل الأخرى، للتفاوض وحل المنازعات وعقد الصلح بعد الحرب. وبمجيء الإسلام، توحدت القبائل العربية في دولة واحدة أصبحت تنافس الفرس والروم. وكانت الدبلوماسية إحدى

سبل المنافسة. وانتقل العرب من الدبلوماسية القبلية إلى الدبلوماسية الدولية، حيث خلق قيام الدولة الجديدة اهتمامات سياسية واجتماعية جديدة. ففي العهد النبوي كانت الأولوية لنشر الدين الجديد، تارة بالدعوة وتارة بالحرب. وفي الحالتين كانت هناك حاجة لمبعوثين ذوي مهارات خاصة. ففي حالة السلم تعين بلاغة المبعوث وحسن جداله في إقناع المرسل إليه، كما حدث مع النجاشي ملك الحبشة. وفى حالة الحرب تعين القدرة على التفاوض على عقد اتفاقيات الصلح والهدنةوتبادل الأسرى، وماشابه ذلك. وزادت الحاجة للاتصال بالقوى الأخرى بتشعب الدولة الإسلامية واتساع رقعتها، بخاصة في عهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، حيث قاربت آسيا الصغرى وجاورت دولة الروم. وفي العصر الأموي اقتربت العاصمة الإسلامية دمشق، من القسطنطينية، العاصمة البيزنطية، فتربصت كل منهما بالأخرى، رغم الاعتراف والاحترام المتبادل من كل طرف للطرف الآخر، وأصبحت الدبلوماسية وتبادل السفراء بديلاً للحرب. وقد أورد البكري مثالاً لذلك الوفد الذي أرسله عبد الملك بن مروان، برئاسة عامر بن شراحبيل إلى العاصمة البيزنطية، لشرح السياسة المالية الجديدة التي تبنتها الحكومة الأموية بإصدار دينار إسلامي ليحل محل الدينار البيزنطي [7]. وقد كان لهذه البادرة أثر طيب في تهدئة خواطر الإمبراطور البيزنطي وفي التقليل من احتمالات التوتر بين الدولتين.

وبقيام الدولة العباسية وانتقال عاصمتها إلى بغداد، وانتقال عرش الدولة الأموية إلى الأندلس عام 751 م، كان على العباسيين أن يواجهوا وضعاً دولياً معقداً، ألجأهم إلى تعميق الممارسة الدبلوماسية لتحقيق التوازن. فهم من جهة لا يريدون قيام دولة إسلامية عربية في الأندلس

تنافسهم في الريادة والزعامة، وفي الوقت ذاته كانوا يواجهون الروم، المواجهين أصلا من البيزنطيين، وهؤلاء مواجهون بدورهم من قبل دولة الفرنجة التي حاولت مزاحمتهم في زعامة العالم المسيحي. في هذه البيئة الدولية - الشديدة التعقيد والتشابك - ترعرعت الدبلوماسية الإسلامية العربية، في ظل الدولة العباسية، لتواجه تحديات ذلك العصر. ومن أهم إسهامات الدبلوماسية العربية الإسلامية في التقاليد الدبلوماسية ما يلي:

1. يشترط أن يكون السفير نافذ الرأي، وسيماً، جسيماً، جريئاً، حليماً، وذا ثقافة عالية.

2. النظافة المفرطة في الزي، والمظهر الحسن.

3. إكرام السفير الأجنبي والحفاوة به.

4. أكدت الدبلوماسية العربية الإسلامية مبدأ الحصانة الدبلوماسية بتأكيدها على مبدأ "الأمان" للرسل (8).

5. أضافت الدبلوماسية العربية الإسلامية وظيفة جديدة للسفارة، بخاصة في العصر العباسي، وهي الوظيفة الثقافية - ما يسمى اليوم بالملحقية الثقافية بالسفارات - للبحث عن الكتب النادرة ودراسة الأماكن ذات الأهمية التاريخية. وكان من نتائج ذلك ازدهار حركة المعرفة والترجمة في مجالات مختلفة منها الهندسة والرياضيات.

6. يُعد ربط الأخلاق بالسياسة في التعامل الدولي من أهم إسهامات الدبلوماسية العربية الإسلامية. فالفضيلة والأخلاق لم تعتبرا مسألتين شخصيتين بل مسألتين متعديتين، لا ينفصل فيهما السلوك العام عن السلوك الخاص (9).

الدبلوماسية الحديثة ووظائفها

ابتداء من القرن الثامن عشر وحتى القرن العشرين، تعقدت الدبلوماسية بدرجة كبيرة. فقد أصبح التفاوض من أهم وظائفها، وذلك بسبب نمو روح "المصالح المشتركة"، بخاصة بين الأمم الأوربية. ودعّم هذه الروح ازدهار وسائل الاتصال والمواصلات (كالتلغراف، والهاتف، والسيارة، والطائرة)، مما زاد من حركة التواصل بين الدول، خاصة على المستوى الرسمي. كما أن ضلوع الرأي العام - بفضل تطور الطباعة ومن ثم الصحافة - ساهم في تشكيل السياسة الداخلية والخارجية للديمقراطيات الأوربية الوليدة، مما أتاح مزيداً من العلنية والشعبية للأداء الدبلوماسي[10].

واستلزم هذا التطور والتعقّد في العمل الدبلوماسي تعاريف جديدة للدبلوماسية، وتوصيفات مناسبة لوظائفها الجديدة. وفي مؤتمر فيينا للعلاقات الدبلوماسية (عام 1815) وضعت القواعد الأولى للدبلوماسية المعاصرة ببعدها المهني، الذي جعل لها مراسم وإجراءات خاصة بها، تميزها عن حرفة السياسي. وقد كان لهذه الاتفاقية دور كبير في التأسيس لدبلوماسية القرنين التاسع عشر والعشرين، والتي توجت باتفاقية فيينا (الثانية) للعلاقات الدبلوماسية (1961)، تحت رعاية الأمم المتحدة. وقد نتج عن هذه الاتفاقية ما يسمى بالقانون الدبلوماسي لعام 1961[11].

مرت الدبلوماسية منذ عام 1961 بتقلبات جذرية فرضها المسار التاريخي للتطور البشري، وتطور الاتصال وتقنياته. فبعد الحرب العالمية الثانية ظهرت على مسرح العلاقات الدولية أوصاف جديدة للدبلوماسية، فرضها الواقع الدولي الجديد، مثل "دبلوماسية المحاور" و "دبلوماسية الأحلاف". وترسخ مفهوم "الدبلوماسية الجماعية" (Multilateral Diplomacy). وأصبح لوسائل الاتصال أثر بالغ في نقل الأيديولوجيات والاتجاهات، وتدويل السياسات والمشاعر القومية. وإذا كان هناك من يشك في هذا الدور البالغ التأثير لوسائل الاتصال في العلاقات الدولية، فله أن يتخيل مشهد العلاقات الدولية خلال هذا القرن دون الراديو والتلفزيون. هل كان بالإمكان أن ينشر هتلر أفكاره النازية داخلياً دون الإذاعة؟ وهل كان للعالم أن يسمع بالنازية بذلك الشكل المكثف لولا وسائل الاتصال؟ ويقيني أنه لولا وجود الإذاعة لتأخرت الحرب العالمية الثانية، أو ربما لم تقم أصلاً، وبالتالي ربما كان لعالمنا اليوم شكل مختلف تماماً في خارطته السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وبالطبع كانت الإذاعة سلاحا ذا حدين بالنسبة لهتلر، فقد أفادته في حشد الشعب الألماني نحو النازية، ولكنها أضرته لأنها حشدت العالم ضده في الوقت نفسه. وهنا تكمن روعة تقنيات الاتصال، فهي تخدم "الحق" في سياق خدمتها "للباطل". ونتساءل هنا أيضاً هل كان بإمكان الاتحاد السوفيتي السابق والولايات المتحدة أن يتجابها أيديولوجياً - بالشكل الحاد الذي أدى في النهاية إلى سقوط الكتلة الشرقية - لولا وجود الإذاعة والتلفزيون؟ إن سقوط الكتلة الشرقية يرجعه البعض للتلفزيون، لأنه أطلع شعوب هذه الكتلة على وجود نموذج آخر، يؤدي إلى الحرية والرفاهية

ورغد العيش، غير النموذج السوفيتي الذي أدى إلى تكميم الأفواه، وخواء الأرفف في المحلات التجارية من متطلبات الحياة الضرورية، مما أدى إلى العوز والتقتير. بإيجاز نقول إن الدبلوماسية المعاصرة - في ظل المناخ السياسي المتقلب والهائج للنصف الثاني من القرن العشرين، وبفضل تكنولوجيا الاتصال - أصبحت تتطلب تعاريف جديدة، تستند إلى التعريفات القديمة وتضيف إليها، بخاصة إذا وضعنا في اعتبارنا تكنولوجيا المعلومات التي ضاعفت من فاعلية تكنولوجيا الاتصال.

ونتناول هنا بإيجاز بعض وظائف الدبلوماسية التقليدية، التي تشمل وظائفها في الوقت الراهن إضافة لمجموعة أخرى من الوظائف. أما الوظائف الأخرى الإضافية - أو ما طرأ على الدبلوماسية من تغير وإضافة في الوظائف - فسوف نتناولها في موضع آخر. وأهم وظائف الدبلوماسية التقليدية، كما وردت فى اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961 هي:

1. **وظيفة التمثيل:** ويُعنى بها قيام الدبلوماسي بتقمص الدور الرسمي لدولته، مما يقضي بتبليغ وجهات النظر الرسمية للدولة التي يمثلها إلى حكومة الدولة الممثل فيها. وهذا الدور يخول له أيضاً إجراء الاتصالات الرسمية وغير الرسمية (على المستوى الشعبي) في الدولة المضيفة، بهدف تحقيق مصلحة دولته.

2. **وظيفة التفاوض:** وقد أصبحت هذه الوظيفة من أهم الوظائف المنوطة بالدبلوماسي. ويمكن تعريف التفاوض بأنه فن التحاور والتفاعل

بهدف التوصل إلى نقاط للتلاقي تؤدي إلى اتفاق، أو تسوية، أو هدنة، أو صلح، بما يحقق بدوره مصلحة مشتركة بين طرفين متنافسين أو متنازعين. وكثيراً ما يُظن أن التفاوض هو الوظيفة الوحيدة للدبلوماسيين، لغلبة الأسلوب التفاوضي على العمل الدبلوماسي، بخاصة في النصف الثاني من القرن العشرين.

3. **وظيفة جمع المعلومات وإعداد التقارير**، ويمكن تقسيم مهامها إلى الآتي:

أ. جمع المعلومات عن الدولة المضيفة: وقد نصت اتفاقية فيينا لعام 1961 على أنه يجوز للدبلوماسي "التحقق بكل الوسائل المشروعة من الظروف والتطورات الجارية في الدولة المضيفة" (البكري، 1986 : 59). وعبارة "الوسائل المشروعة" تعني تجنب كل ما من شأنه أن يمس المبادئ الأخلاقية العامة، مثل التجسس مثلاً، فهو يعتبر وسيلة غير مشروعة. وعلى الرغم من شيوع ممارسته تحت غطاء العمل الدبلوماسي. فإنه - من حيث المبدأ - لا يجوز للدبلوماسي العمل كوكيل مخابرات.

ب. تحليل المعلومات وتقويمها: وهذه الوظيفة تميز عمل الدبلوماسي عن عمل الجاسوس (الذي يرسل المعلومات والبيانات غالباً كما هي إلى رؤسائه لتحليلها وتقويمها). وهذه الوظيفة تتطلب قدرات تحليلية ونقدية عالية لدى الدبلوماسي، لكي يستطيع أن ينفذ من سؤال إلى سؤال؛ ماذا حدث؟ وكيف حدث؟ ولماذا

حدث؟ كل ذلك يتطلب نفاذا في الرؤية وقدرة على الاستقراء والاستنتاج، والربط بين الموضوعات والأحداث والظواهر، مما لا يتوافر لدى المراقب العادي.

جـ. تقويم السياسة الخارجية للدولة التي يمثلها الدبلوماسي: وذلك برصد مدى نجاح هذه السياسة أو فشلها في تحقيق الأهداف المرسومة لها، وردود فعل الدولة المضيفة عليها.

4. **وظيفة حماية المصالح:** وتشمل رعاية مصالح الدولة المرسلة ورعاياها في الدولة المضيفة، (بما فى ذلك الأشخاص الاعتباريون كالشركات والوكالات من الدولة المرسلة). وهنا يراقب الدبلوماسي مساواة الأشخاص الحقيقيين والاعتباريين مع نظائرهم في الدولة المضيفة، حسب القوانين والأعراف المحلية لهذه الدولة. وتشمل هذه الوظيفة كذلك مراقبة تنفيذ المعاهدات الاقتصادية والتجارية والثقافية المعقودة بين الدولتين (المرسلة والمضيفة). هذا بالإضافة إلى المعاملات القنصلية المرتبطة بالأحوال الشخصية والمدنية، كتوثيق العقود والتوكيلات والشهادات الرسمية، وخلاف ذلك من المعاملات القنصلية.

ولكن الدبلوماسية المعاصرة لم تعد محصورة فقط في الوظائف المذكورة سابقاً. وسيناقش الجزء التالي بعض التغيرات المؤثرة في تعريف وظائف هذه الدبلوماسية المعاصرة. وهو يهتم - أكثر ما يهتم - بما بعد 1990، أي بعد أزمة الخليج الثانية وانهيار الكتلة الشرقية، وانفراد الولايات المتحدة بتحريك المشهد الدولي، رغم تآكل نفوذها وتراجعه في مسائل عديدة (مثل تراجع نفوذها الاقتصادي مثلا).

الدبلوماسية فى عصر المعلومات

نظراً للتداخل بين عمليات الاتصال الدولي وفنون إدارة العلاقات الدولية، يمكننا أن نعرف الدبلوماسية الحديثة بأنها فن إدارة الاتصال والعلاقات بين الدول، في ظل مفاهيم حديثة مثل "الاعتماد المتبادل" (Interdependency) و "الأمن الجماعي" (Collective Security) و "المواطنة الكونية" (Global Citizenship). وهذا التعريف لا يغفل التعاريف القديمة التي تفيد أن "الدبلوماسية هي تمثيل لمصالح الدولة المرسلة في الدولة المضيفة، والمحافظة عليها وتطويرها بكل السبل المشروعة"، فهي تُعنى بذلك إضافة لأمور أخرى. والإضافة تأتي من النظر لمصلحة الدولة في ظل المصلحة الدولية العامة. فقد طورت وسائل الاتصال الشعور والوجدان الجماعي العالمي، بحيث أصبحت قضايا مكافحة التلوث، وحماية البيئة، والانفجار السكاني، وحقوق الإنسان، ومكافحة المخدرات، ومحاربة الإرهاب، والحد من الأسلحة النووية، وإدارة وحل المنازعات، كل ذلك أصبح هموماً مشتركة، تتطلب النظر إلى مصلحة الدولة المعنية في سياق المصلحة الدولية العامة.

تطرقنا في بداية هذه الدراسة إلى أن الدبلوماسية والحرب كانتا دائماً متلازمتين ومتتابعتين منذ القدم، فإذا طرأ تغير في أسلوب أي منهما تبعه تغير في أسلوب الأخرى. وقد طرأ على كلتيهما اليوم، في عصر المعلومات، تطورات هائلة. ونورد فيما يلي اقتباساً من موضوع الغلاف

بمجلة *Time* الأمريكية في العدد 8 الصادر في 21 آب/ أغسطس 1995. وموضوع الغلاف كان عن الحرب المعلوماتية الفضائية (Cyber War)، ويدور حول تحويل تكنولوجيا المعلومات، بخاصة الحاسبات الآلية، إلى أسلحة دمار عابرة للقارات. ويفيد الاقتباس ما يلي:

> عندما يظهر طاغية في المرة القادمة من بابل حديثة (مثل بغداد، أو طهران، أو طرابلس) ليهدد حلفاء أمريكا (في منطقة الخليج أو القاهرة أو القدس)، لن ترسل الولايات المتحدة جنوداً وبوارج حربية. بل سترسل أوبئة حديثة بواسطة شاشات الفيديو، ومفاتيح الحاسب الآلي. أولاً سنرسل فيروسا حاسوبيا لشبكة هواتف العدو، يحدث عطلا كاملا لنظام الاتصال الهاتفي. وسنرسل بعده أوامر وهمية مصطنعة للضباط في جيش العدو من خلال نظم اتصالهم، وهم بدورهم يطلقون هذه الأوامر لجنودهم دون علم بأنها مصطنعة. وسينتشر الجنود، بأمر من الضباط، في الصحراء، وهذا سيشتتهم ويضعف قوتهم الدفاعية. بعد ذلك ستقوم طائرات أمريكية مهيأة خصيصاً لعمليات الحرب النفسية، ببث رسائل دعائية من خلال تلفزيون العدو، تؤدي إلى تأليب الشعب (في دولة العدو) ضد زعيمه. وحين يدير هذا الزعيم جهاز الحاسب الآلي الخاص به، سيجد أن حسابه في البنوك السويسرية قد تمت تصفيته. كل هذا دون أن تطلق طلقة واحدة[12].

هذه ليست قصة من الخيال العلمي. إنها نسج من الواقع المعلوماتي الذي نعيشه. وهي تحكي عن سيناريو محتمل الحدوث، يجري التجهيز له الآن في ولاية فرجينيا الشمالية في الولايات المتحدة الأمريكية. وستدار الحرب المفترضة من فرجينيا، وسيكون "مسرحها" الشرق الأوسط، دون

أن تراق قطرة دم واحدة من طرفي الحرب. إنها ستكون "حرباً بلا دماء".
هذا ما عنيناه حين قلنا سابقاً إن تكنولوجيا المعلومات - شاء صانعوها ومستخدموها، أم أبوا - تخدم "الحق" (الحفاظ على الحياة، في حالة نشوب نزاع مثلاً) في سياق خدمتها للباطل (هيمنة صانعي تكنولوجيا الحرب والمعلومات على مقدَّرات شعوب الشرق الأوسط مثلاً).

والدبلوماسية، بالإضافة إلى ما سبق ذكره، هي ذلك الجهد الذي يقلل من التنازع والتنافس والاحتراب والتقاتل. فهي ذلك الجهد الذي يؤدي إلى ألا تراق قطرة دم واحدة، أي ألا "تطلق طلقة واحدة" كما ورد في نهاية الاقتباس السابق. وأول دلالة نستنبطها مما سبق هي أن تقنيات المعلومات والاتصال (لاحظ الاندماجات بين أنظمة الأقمار الصناعية، والهاتف، والفيديو، والتلفزيون، والحاسب الآلي، التي يمكن فهم مغزاها من الاقتباس المذكور)، هذه التقنيات لن تحوج الدبلوماسيين للجهد الضخم الذي كانوا يبذلونه للوصول إلى نقطة "حقن الدماء" قبل بداية الحرب. وربما يكون مناسباً أن نشير هنا إلى أن ما أريق من دماء في حرب الخليج الثانية أقل بكثير جداً مما كان يحدث في حروب بحجمها في الماضي. وذلك أيضاً كان بسبب تكنولوجيا المعلومات والاتصال. فقد استطاع سلاح الطيران الأمريكي أن يدمر معظم أهدافه بسهولة، بسبب دقة أنظمة المعلومات والاتصال التي استخدمها، متجنبا بقدر المستطاع المواقع التي قد يؤدي قصفها إلى سفك دماء المدنيين. وهذه الحرب السريعة الدقيقة النافذة إلى أهدافها، غيرت أجواء "مسرح" العلاقات الدولية في الشرق الأوسط. وقد يفيد البعض أن ياسر عرفات والملك حسين، اللذين

أظهرا بعض التعاطف مع صدام حسين، ربما كانا في موقف مغاير لموقفهما اليوم من التفاوض والاتفاق مع إسرائيل، لو أن صدام حسين خرج منتصراً في الحرب. أي أن نتيجة هذه "الحرب النظيفة" - كما يسميها بعض الأمريكيين، لقلة ضحاياهم فيها بسبب تقنيات الاتصال والمعلومات - قلبت الأجواء السياسية في الشرق الأوسط.

وفي رأي كولن باول، رئيس هيئة أركان الجيش الأمريكي أثناء الحرب، أن "عاصفة الصحراء" لم تنجز أهدافها فحسب، بل تعدتها إلى تهيئة الأجواء بإضعاف موقفي ياسر عرفات والملك حسين، مما هيأ لمفاوضات السلام، ثم إلى اتفاقيات السلام، وفتحت المنطقة وكشفتها للولايات المتحدة، بعد أن "كانت قبل الحرب موصدة في وجهها"[(13)].

كانت هذه الحرب غير تقليدية في نواح أخرى، فبالإضافة لكونها استخدمت التقنيات المعلوماتية، فقد استخدمت وسائل الاتصال الجماهيري كما لم يحدث من قبل. وبفضل التمازج بين تكنولوجيا المعلومات وتكنولوجيا الاتصال الجماهيري، استطاع العالم أن يشاهد - ولأول مرة في التاريخ - حرباً على الهواء مباشرة منذ لحظة اندلاعها. بالطبع هذا فيه شيء من التبسيط، لأن قيادة الجيش في هذه الحرب، وضعت ضوابط صارمة على دخول المراسلين الصحفيين إلى مسرح العمليات، وقيدت اطلاعهم على المعلومات العسكرية من غرفة العمليات. ولكن يمكننا القول إنه لم تُشاهد حرب من قبل كما شوهدت حرب الخليج الثانية. وهنا يأتي دور أثر الاتصال الحديث ووسائله في الدبلوماسية، والعلاقة الجدلية بينها وبين الحرب.

لقد غطى أحداث حرب الخليج الثانية أكثر من 1400 مراسل إعلامي من مسرح العمليات، من مجمل 2500 مراسل ساهموا في التغطية بشكل مباشر، أو غير مباشر. وإذا ما قورن هذا العدد بالمراسلين الذين غطوا آخر معركة في الحرب العالمية الثانية، البالغ عددهم 26 مراسلاً، سيعتبر دلالة ذات أهمية بالغة، ليست فقط عن تطور وسائل الاتصال الجماهيري، ولكن عن ضلوع الرأي العام المحلي والعالمي في الاطلاع على أحداث لم يكن متاحا له الولوج إلى باحاتها، وبالتالي لم تكن تتاح له إمكانية المساهمة في صياغتها (14). وهنا تبرز أمام الدبلوماسية نقطة تحد بالغة الأهمية، فهناك جدلية وتداخل بين المحلي والدولي، والحرب والسلم، والدولة والشعب، وهذه الجدلية تجعل الفواصل القديمة عديمة القيمة. لذلك نجد كولن باول يتحدث عن التغطية الإعلامية لأزمة الخليج الثانية، والرأي العام، وانتفاضة الشيعة وثورة الأكراد في العراق، والحرب وآلياتها، ومدارس الصحافة القديمة والحديثة، والدبلوماسية ومفاوضات السلام، كل ذلك في سياق واحد في كتابه الأخير، كأنه وجد أن هذه الموضوعات متشابكة وملتحم بعضها ببعض، بحيث لم يعد بالإمكان عزل بعضها عن بعض. في هذا الخضم - المسمى بعصر المعلومات - تبحث الدبلوماسية عن حدودها وآفاقها، حيث لم تعد حدودها هي الحدود ولا آفاقها هي الآفاق.

ويمكن أن نشير، على سبيل المثال لا الحصر، إلى التغيرات التالية التي طرأت على الدبلوماسية ووظائفها:

1. أدت سرعة الاتصال الناتجة عن تطور تقنيات المعلومات والاتصال الجماهيري والمواصلات، إلى تطور هائل في سرعة انتقال الأفكار

والثقافة عبر الأقمار الصناعية، وسرعة انتقال الأحياء والأشياء. وفي مضمار الفكر والثقافة كثر الحديث عن "الغزو الثقافي" و "الاستعمار الفكري"، وما شابه ذلك من إسقاط للانسلاب الفكري والثقافي على "الآخر". وفي مضمار حركة الأحياء (كالإنسان والحيوان) والأشياء (كالسلع والبضائع) يكثر الحديث عن "الهيمنة الاقتصادية"، وما قد يلازمها من هيمنة عسكرية، وهيمنة سياسية، ومن ثم فكرية وثقافية. فموضوع "الشرق أوسطية" - مثلاً - يُناقش كموضوع اقتصادي / استراتيجي / سياسي، يريد الغرب وإسرائيل به أن يجعلوا مقدرات الأمة العربية وإمكاناتها تحت رحمتهم، ويُناقش في الوقت ذاته كموضوع عن "الهوية العربية" و "الذات العربية"، ومحاولة "الآخر" لمحوهما.

هذه القراءة الشاقة والمشوقة في آن واحد، لواقع المستجدات على الساحة العربية وعلى أجواء العلاقات الدولية فيها، تعد في الواقع قراءة لما يكتنف الدبلوماسية من تغيرات. ففي الماضي كان الدبلوماسي يملك هامشاً أكبر من حرية التصرف في تمثيل بلاده في الدولة المضيفة. وكان السفير يجري المفاوضات ويعقد الاتفاقيات، وحريته لم تكن تحدها غير التعليمات الصادرة إليه من دولته - حين يغادرها - أو تلك التعليمات التي تأتيه في أوقات متباعدة، بواسطة الشفرة الدبلوماسية أو التلكس أو الهاتف مثلاً. أما اليوم، فبفضل سهولة المواصلات وتطور الاتصالات، أصبح من المألوف أن يقوم رئيس الدولة نفسه، أو الممثل الشخصي له، أو وزير الخارجية بإجراء المفاوضات، وعقد الاتفاقيات.

لم يعد السفير وأعضاء بعثته - في ظل الكم الهائل من المعلومات التي تنهمر عليهم - بمؤتمنين ائتماناً كاملاً على تمثيل مصالح بلدهم والمحافظة عليها كما كان سابقاً. فسرعة المواصلات سهلت سفر رئيس الدولة، أو وزير الخارجية، ووفرت لهما الجهد والوقت مما يتيح الانتقال بسهولة. وسرعة الاتصال جعلت دور الدبلوماسي يتحول من مفاوض إلى منسق للتفاوض، يجهز المعلومات وينسقها ويحللها لتكون مادة للتفاوض بين وزير الخارجية ونظيره من الطرف الآخر. بالطبع لا نعني هنا أن شكل الدبلوماسية في كل الكرة الأرضية قد تغير من الوجه القديم إلى الوجه الحديث في التمثيل والتفاوض. فما زالت هناك موضوعات تترك ليتفاوض فيها السفراء مع الدولة الممثلين لديها، وما زالت دول العالم الثالث تتعامل فيما بينها بالوجهين القديمين للتمثيل والتفاوض. ولا سبيل هنا لإيراد أمثلة عن ذلك لضيق الحيز. ولكن للتدليل على ما طرأ من تغير في التمثيل و التفاوض، لنا أن ننظر فى انتشار أسلوب "الممثل الخاص" (دينيس روس، منسق مفاوضات الشرق الأوسط، وريتشارد هولبروك، المنسق في البوسنه والهرسك مثلا). وكذلك انتشار فكرة السفراء المتجولين (Roving Ambassadors) الممثلين لمصالح بلادهم في أكثر من موقع، وانتشار فكرة دبلوماسية القمة (Summit Diplomacy) ودبلوماسية المؤتمرات (Conference Diplomacy).

هذا التغير ظهر - أوضح ما يكون - في مفاوضات الشرق الأوسط للسلام، فقد أوكلت الولايات المتحدة وإسرائيل مهام التفاوض والتمثيل فيها لمسؤولين على مستوى عال، كوزير الخارجية وارن

كريستوفر وشمعون بيريز. وذلك لأن المصالح ذات الصلة بموضوعات السلام لا تحتمل أن يُترك أمرها لدبلوماسيين عاديين، ولأن المحاسبة على هذه المصالح ستكون من رئيس الدولة، المحاسب بدوره من الرأي العام، الذي لم يعد يفوتَ كبيرة ولا صغيرة بفضل اطلاعه على كل ما يجري، بما في ذلك نتائج المفاوضات، بفضل وسائل الاتصال الجماهيري التي أصبحت تتدخل في كل ما لم يكن متاحاً لها في الماضي.

تبعا لما سبق يمكن القول إن الدبلوماسي الغربي العادي - السفير وأعضاء بعثته، الممثلين لدى الدول المعنية مباشرة بالسلام في الشرق الأوسط - أصبحت مهمته تتركز في جمع المعلومات (الذي أصبح أكثر يُسراً بفضل وسائل الاتصال الحديثة)، وتحليلها، وكتابة تقارير وافية عن الدولة المضيفة بناء على هذه المعلومات. أما دوره التمثيلي والتفاوضي فقد قلّ أو ضعف عما كان يحدث في الماضي. ونرى أن ما ينطبق على الدبلوماسي الغربي - في الشرق الأوسط اليوم - سينعكس على الدبلوماسية الدولية بشكل عام، ونرى بواكير ذلك في المعالجة الدبلوماسية لقضية البوسنه والهرسك، والتي تطغى على آلياتها الآن "دبلوماسية القمة" و "دبلوماسية الممثل الخاص" (هولبروك عن الرئيس الأمريكي وأكاشي ثم كوفي عن الأمين العام للأمم المتحدة).

2. المراقب للعمل الدبلوماسي الحديث يلاحظ أن سرعة انتقال المعلومات جعلت مهمة الدبلوماسي أكثر يسراً من جهة، وأكثر صعوبة من جهة

أخرى. فمن البديهي أن نقول إن سرعة تبادل المعلومات بين طرفين تؤدى إلى سرعة التواصل، وبالتالي إلى تيسير عملية الاتصال. ولكن هذه السرعة تتطلب كذلك قدرة عالية على تصنيف وتحليل المعلومات، لا تتوفر إلا بالممارسة والتدريب والمران. فالقرار والحكم القاضيان بأهمية معلومة معينة - دون غيرها من الكم الهائل من المعلومات التي تغمرنا في عصر المعلومات - وترابط هذه المعلومة مع غيرها من المعلومات (أي عملية التصنيف)، ثم الحكم على إجمالي الناتج من عملية التصنيف، وتحليل ظاهرة معينة بناءً عليه، وإعداد تقرير سريع، كل هذه الأمور تستلزم أن يكون الدبلوماسي العادي ذا قدرات عالية في معالجة وتصنيف وتحليل المعلومات بسرعة. وعامل السرعة هنا مهم، لأن بعض المعلومات تفقد جدواها إذا لم تصنف وتحلل، ويُتخذ قرار بشأنها في الوقت المناسب، فقد أصبحت وسائل الاتصال تنقلنا - من خبر إلى خبر - بسرعة لم نألفها من قبل. فعلى سبيل المثال حين بثت قناة CNN الأمريكية قصف الطيران الأمريكي لأحد مخابئ المدنيين فى بغداد أثناء الحرب الأخيرة وفيه 400 شخص، كان متوقعا أن تؤدي المشاهد البشعة التي ظهر فيها الضحايا المدنيون من النساء وكبار السن وهم ينتشلون من تحت الأنقاض، إلى مطالبة الرأي العام الأمريكي بإيقاف الحرب، وكاد ذلك (أي إيقاف الحرب) أن يحدث بالفعل، فقد كنت آنذاك في الولايات المتحدة الأمريكية وعايشت أزمة الخليج الثانية، ولاحظت أن أصواتاً مؤثرة جداً في الرأي العام الأمريكي بدأت تنادي بإيقاف الحرب، بعد مشاهدة الحادثة المشار

إليها، خاصة وأن هدف تحرير الكويت كان قد تحقق. وفي مدة وجيزة استجمعت الدبلوماسية الأمريكية طاقاتها وقدراتها على مخاطبة الرأي العام المحلي والعالمي، والتي تضاعفت بفضل التأهيل المعلوماتي العالي لجهازها وكادرها، وبفضل الجاهزية العالية لوسائل الإعلام الأمريكية، فاستطاعت الخارجية الأمريكية أن توظف الدبلوماسية الإعلامية لخدمة الدبلوماسية الرسمية. واستطاع الدبلوماسيون أن يعدوا تقارير سريعة عن الفظائع التي ارتكبها الجيش العراقي داخل الكويت، بما فى ذلك جز الرقاب. وبسرعة تبنت الإدارة الأمريكية هذه التقارير ووجهت إليها أجهزة الإعلام، وذلك بطرح فحواها في التصريحات الرسمية الصادرة عن البيت الأبيض، وهذا أدى بدوره إلى اهتمام وسائل الإعلام بتغطية الأعمال الوحشية التي قام بها الجيش العراقي داخل الكويت. مما أدى إلى تراجع اتجاهات الرأي العام المنادية بإيقاف الحرب [15].

يقودنا ما سبق إلى استنتاجين متضاربين. الأول هو أن الدبلوماسيين لم يعد بإمكانهم حجب المعلومات عن عامة الشعب (فقد شوهدت حادثة ضرب مخبأ المدنيين وفظاعة موتهم، بواسطة قناة CNN في معظم أنحاء العالم، رغم أنف السياسيين في دول التحالف). والثاني هو أن من يملك تقنيات ومصادر المعلومات يمكنه أن يسخرها، بحيث تخدم أهدافه الدبلوماسية، مما قد يضعف القيمة "التعليمية" للمعلومة. أي أن تشكيل وتحوير المعلومة - وفقاً لأهداف المرسل - يؤديان في النهاية إلى إفقاد المعلومة عنصر الحيادية، مما يجعلها مضللة للرأي العام.

ومثال آخر على سرعة انتقال المعلومات وتأثيرها في الدبلوماسية، هو حادث إغماءة الرئيس الأمريكى السابق جورج بوش وهو في مأدبة عمل مع رئيس الوزراء الياباني. حيث شوهد بوش - وهو يغمى عليه - في كافة أرجاء المعمورة بواسطة البث التلفزيوني المباشر. وشوهد المتحدث باسم البيت البيض مارلن فيتزووتر، وهو يعلن صراحة ما حدث بالضبط للرئيس دون زيادة أو نقصان. وقد شاهد الدبلوماسيون الأمريكيون هذا الحدث، وتصريح فيتزووتر، كما شاهده بقية الناس. ولم ترسل الخارجية الأمريكية للدبلوماسيين هذه الأخبار بواسطة الشفرة أو التلكس أو الكيبل، فقد أصبحت هذه الوسائل متخلفة وضعيفة بإزاء التقنيات الحديثة للاتصال، التى بواسطتها نقلت CNN الحدث للعالم، وشاهده الدبلوماسيون كما شاهده عامة الناس. وفي الماضي كان مثل هذا الخبر يتم التستر عليه، وكان كبار المسؤولين وكبار الدبلوماسيين يتكتمون مثل هذه الأخبار، حتى تتم السيطرة على الأمور، فى حال أدت الغيبوبة إلى الموت، كما تفعل الدبلوماسية الروسية إزاء ما يزعم أنه إدمان للكحول. ولكن مع تقنيات الاتصال الحديثة يجب على الدبلوماسيين أن يتعلموا كيف يتعاملون "على المكشوف"، لأن وسائل الاتصال أصبحت تنفذ الى "المخابئ" الدبلوماسية بما لا يتيح لها الكثير من المداراة والمراوغة. ولم يعد أمام الدبلوماسية إلا مصادقة عدوها اللدود "الإعلام"، بخاصة المراسلون الدبلوماسيون، بعد أن طالت بينهما الخصومة حتى قيل إن الدبلوماسي والصحفي عدوان لا يلتقيان، وذلك لأن أحدهما يسعى لأن "يخفي مايريد أن يكشفه الآخر" (16). ولم يعد الحال كذلك بعد أن تقاربت

مهمة الدبلوماسي من مهمة الصحفي، حتى ظهرت وظيفة فى العمل الصحفي تسمى (بالمراسل الدبلوماسي). وما ذلك إلا لأن الاثنين أصبحا يتفاعلان مع الرأي العام بشكل أكبر، فأحدهما يسهم في صناعة الرأي العام، والآخر يحاول أن يجاري الرأي العام.

3. بفضل تطور تقنيات الاتصال والمعلومات ظهر مفهوم "الدبلوماسية الآنية" (Real Time Diplomacy). وكما سبق وأشرنا فهذا المفهوم ناتج عن دمج تقنيات الأقمار الصناعية، والبث والاستقبال التلفزيونى، والحاسوب، والهاتف. وهذا بدوره أدى إلى تداخل الدبلوماسية الإعلامية مع الدبلوماسية الرسمية، مما أدى إلى اتساع المساحة المشتركة بينهما [17].

أثناء أزمة الخليج الثانية استطاعت محطة CNN أن تتنصت على الخط الهاتفي للرئيس الأمريكي السابق جورج بوش، مما أتاح لها بث محادثة بينه وبين الرئيس التركي تورجوت أوزال، على الهواء مباشرة. وقد شاهد وسمع رؤساء دول عديدون، من ضمنهم صدام حسين، هذه المحادثة وهى تبث. وقد تفاعلت مواقفهم مع محتوى تلك المحادثة، دون الحاجة إلى دور الدبلوماسيين التقليدي في نقل مواقف حكوماتهم وشعوبهم إلى الحكومات والشعوب الأخرى. فى هذه الحالة أدى التلفزيون - بفضل تطور تقنياته واندماجها مع تقنيات أخرى - دور الدبلوماسيين متجاوزاً تقويماتهم الذاتية للأحداث. وربما لهذا السبب لم تشأ الإدارة الأمريكية أن تشوش على استقبال محطة CNN فى بغداد، رغم قدراتها التقنية لفعل ذلك. فمشاهدة صدام

حسين لهذه القناة تجعله يشعر بالعزلة وباستهجان الرأي العام الدولي لما فعله. وهذه النتيجة - أي شعوره بالعزلة - كانت تتحقق في الماضي بأساليب دعائية باهظة التكاليف، تقوم بترتيبها وتخطيطها أجهزة المخابرات، وينفذها الدبلوماسيون بواسطة وسائل الإعلام.

وفي المثال السابق نرى أن التداخل بين "الدبلوماسية الإعلامية" و "الدبلوماسية الرسمية"، كاد أن يمحو دور الثانية. وماكان يصنف في الماضي بأنه "سري للغاية"، أو "سري جداً"، أو "سري"، لم يعد بالإمكان جعله سرا مدة طويلة. وهذا يضر الدبلوماسية الرسمية للدولة إذا كان "سرها" مكشوفاً، وينفعها إذا كان "سر غيرها" هو المكشوف. وفي الحالتين فإن الرابح هو الرأي العام المحلي والدولي. وقد آن أوان "الدبلوماسية الآنية"، أو "دبلوماسية الشعوب"، أو "الدبلوماسية الشعبية" (الإعلامية) كما يحلو لبعض الدارسين أن يسميها [18].

وللتدليل على أن الإعلام أصبح سلاحاً ذا حدين، نسوق مثالاً عن رأي الإدارة الأمريكية في محطة CNN . فقد نُقل عن جون سنونو، رئيس موظفي البيت الأبيض الأمريكي إبان أزمة الخليج الثانية، قوله "إننا لا نحتاج إلى CIA (جهاز المخابرات المركزية الأمريكية) ما دام لدينا محطة CNN" [19]. هنا يتضح أن الإدارة الأمريكية ترى أن عمل محطة CNN جاء في صالحها. ولكن في نفس الوقت صرح فيتزووتر، الناطق باسم البيت الأبيض، بأن CNN ومراسلها

بيتر أرنيت (Peter Arnett) أدوات في يد صدام حسين تؤذي المصالح الأمريكية. وذلك لأن أرنيت يبث تقارير "مختومة، ومراقبة، ومراجعة من قبل النظام العراقي" [20]. وقد ذهب بعض المحافظين إلى اتهام أرنيت بالخيانة العظمى، وأنه غير مخلص لأمريكا، لكونه متجنساً وليس أمريكياً أصلياً (إذ كان يحمل جنسية أخرى قبل تجنسه بالجنسية الأمريكية).

وسبب هذه الهجمة على أرنيت أنه كان يبث تقارير حية بفضل اندماج تقنيات الأقمار الصناعية والتلفزيون والهاتف. ومن هذه التقارير (غير المستحبة للإدارة الأمريكية) ما بثه من أن أحد الأهداف التى قصفها الطيران الأمريكي في بغداد كان مصنعاً لحليب الأطفال، ولم يكن مصنعاً للأسلحة الكيماوية كما ادعت الدبلوماسية الأمريكية. هذا التضارب في موقف الإدارة الأمريكية - إزاء أهم وأكبر قنوات الأخبار التلفزيونية الدولية - يعبر عن الحيرة التي أطبقت على البشرية حول كيفية التعامل مع الاتصال والمعلومات. فمحطة (CNN) أمريكية، والإدارة (الحكومة) أمريكية، والتقنيات أمريكية، والحيرة (المؤدية إلى التضارب في مواقف المسؤولين) هي أيضا حيرة أمريكية. فإذا كان صانعو التقنيات ومصائر الدول والعباد حائرين، فلنا أن نتوقف ونحتار ونفكر ألف مرة، فمن يسبق بالمعرفة يسبق بالحيرة، ولأن الغرب سبقنا ألف مرة، علينا أن ندركه - وهو محتار - فنحتار معه وأكثر، لعلنا ندركه ونتفوق عليه.

4. أصبح اتصال الحكومات بشعوب غير شعوبها مباشرة، أمراً يتطلب الوقوف عنده من جانب الدبلوماسية الحديثة. فمن أهم الأحداث الملفتة في حرب الخليج الثانية، ظهور رئيس دولة على شاشات التلفزيون يخاطب شعب دولة أخرى، رغم كونه في حالة حرب معها. فكل من صدام حسين وجورج بوش خاطب شعب الدولة الأخرى بواسطة محطة CNN. فأكد صدام حسين في خطاباته أنه وشعبه مظلومون وأن الله سينصره في "أم المعارك"، ولذلك فإن على الشعب الأمريكي أن يثور ضد حكومته ويوقف الحرب، لأن الضحايا الأمريكيين سيفوقون ضحايا حرب فيتنام. أما بوش فقد طالب الشعب العراقي بالثورة ضد الدكتاتور الطاغية الذي يحكمه بقبضة من حديد، والذي أدخله قهراً في حرب مدمرة، مؤكداً أن أمريكا وجدت نفسها مضطرة لحماية الشرعية في الكويت وحق الشعب الكويتي فى استرجاع وطنه [21]. ولكن كلا من الرئيسين - على حد سواء - لم يكن ملما بعقلية الشعب الآخر وآلية عملها. فالرئيس الأمريكي كان يظن أن "الرأي العام" العراقي سيهب لمجابهة صدام وإسقاطه، ربما قياساً على إلمامه بآليات عمل الرأي العام الأمريكي ومشاركته بالأحداث في أمريكا. والرئيس العراقي كان يظن أن "عقدة فيتنام" ما زالت مستحكمة بالرأي العام الأمريكي، وأنه بالتالي لن يسمح باستمرار الحرب. ومن هنا لم يكن لخطب الرئيسين أي أهمية من حيث المضمون، ولكن تكمن أهميتها في أنها قلبت مفاهيم "السيادة" التقليدية رأساً على عقب. فقد أصبحت الحواجز "الحدودية" السيادية شفافة للغاية، بفضل تكنولوجيا الأقمار الصناعية. مع العلم بأن مفهوم "السيادة" لصيق جداً بالدبلوماسية.

في الماضي القريب لم يكن لوسائل الاتصال هذه الأهمية في اقتحام الحواجز السيادية، إلا في شكل برامج إذاعية موجهة، مثل برامج صوت أمريكا (V. O. A.)، وبرامج قناة أوربا الحرة (Radio Free Europe)، وبرامج قناة الحرية (Radio Liberty). وهذه البرامج كانت تنتج بواسطة موظفين إعلاميين فى الخارجية وجهاز المعلومات الأمريكي (U.S.I.A) لمحاربة المد الشيوعي، ولترغيب الشعوب في النموذج الأمريكي، حتى تتوفر لديهم مرجعية يحكمون بها على النهج والفكر والممارسة الشيوعية. والبعض يرجع انهيار الكتلة الشرقية إلى هذه البرامج، من جملة أسباب أخرى، كما أشرنا سابقاً. ولكن هناك فرقاً كبيراً بين هذه البرامج - التي يعدها الإعلاميون والدبلوماسيون - وبين اضطلاع الرؤساء أنفسهم بمخاطبة الشعوب الأخرى. ربما نسمي هذا النهج المستحدث بـ "دبلوماسية الرؤساء" إن صح التعبير، وقد نسميه بـ "الدبلوماسية الشعبية" لأن الطرف الآخر - المخاطب من قبل الرئيس - هو شعب الدولة الأخرى. ثم إن الرئيس نفسه محاسب من شعبه ورأيه العام فى كل ما يقوله لشعب الدولة الأخرى، مما يؤكد المفهوم الأخير. وقد تطور هذا الفهم لـ "الدبلوماسية الشعبية" مقارنة بمفهومها السابق، الذي كان يعني التبادل الثقافي بين الشعوب من فنون وآداب وموسيقى، وما شابه ذلك، حين كانت مشاركة الشعوب في الدبلوماسية الرسمية غير ذات أهمية في المفهوم القديم للدبلوماسية الشعبية. أما اليوم فلم تعد السيادة كما كانت عليه سابقاً، ولم تعد الدبلوماسيتان - الرسمية

والشعبية - منفصلتين إحداهما عن الأخرى، كما كان الحال في الماضي القريب.

إن التغيرات السابق ذكرها ليست إلا مؤشرات تقريبية ساذجة لما هو قادم. فما تحدثه تكنولوجيا الاتصال والمعلومات الآن، وما ستحدثه غدا، هو قفزات هائلة في التواصل البشري لم يسبق لها مثيل، تظهر آثارها واضحة جلية على العمل الدبلوماسي. ولا ندعي أننا نرى هذه الآثار بوضوح، ولكننا على الأقل نلتمس رؤيتها، في جو أكاديمي يتقلب هو الآخر بين النظريات والمناهج، ويبحث عن مناهج ونظريات بديلة تقارب بين مفاهيم "الاتصال الجماهيري" و "الاتصال الثقافي" و "الاتصال الدولي" و "التعددية الثقافية" و "الدبلوماسية الشعبية" و "العلاقات الدولية"[22]. والجزء التالي عبارة عن مقاربة نظرية أولية قد تسهم في تأطير الدبلوماسية الدولية المعاصرة في إطار نظري، يوفر مرجعية لاستنباط مناهج ومفاهيم جديدة.

الدبلوماسية المعاصرة ونظرية التبعية البنيوية

تقسم نظرية التبعية العالم إلى دول غنية، تسميها دول "المركز" أو "المحور"، ودول فقيرة تسميها دول "الهامش". وتقول النظرية إن ظاهرة التخلف في دول العالم الثالث مرتبطة ارتباطاً عضوياً وثيقاً بالتقدم في الدول الصناعية الكبرى، وأن البنى الاقتصادية والسياسية الحالية تكرس الهيمنة للدول الغنية بما يتيح لها مزيدا من الثراء، في نفس السياق وبنفس العملية التي تؤدي بالدول الفقيرة إلى مزيد من الفقر. وهذه النظرية المنحازة بمفرداتها ومفاهيمها للدول الفقيرة (ربما لكونها نبعت من بعض مفكري دول أمريكا اللاتينية التنمويين) أسهمت بشكل كبير في فهم الأوضاع التى خلفها الاستعمار القديم، وفهم أساليب الاستعمار الحديث (Neo-colonialism) التي تركت قوة البارود والسلاح لصالح الخيارات الاقتصادية والثقافية (مثل الشركات متعددة الجنسية، وآلياتها في ترويج أنماط استهلاكية وثقافية، لصالح المنظور الغربي والمصلحة والخيارات الغربية). فدول الشمال - أي الغربية - تغتني وتستأثر بالسلطة الدولية والثروة الكونية على حساب دول الجنوب الفقيرة.

وقد قام بعض علماء الاتصال المنتمين إلى رواد النموذج النقدي - الثقافي (الذي تتفرع منه نظرية التبعية ومناهجها العلمية) بتطوير المفاهيم السابقة عن طريق تطبيقها على نظام الاتصال الدولي. إذ يرى Hamelink أن دول "المركز" - التي أصبحت مجتمعات معلوماتية

(Information Societies) - هي التي تستأثر بمزايا ونتائج التكنولوجيا الحديثة للاتصال على حساب مجتمعات "الهامش"، التي ما زالت تترنح في اقتصاديات المجتمع الزراعي وما قبل الصناعي (Agricultural and Pre - industrial economies) .[23] وعلى الرغم من كثرة الحديث حول "القرية الكونية" و "التداخل" و "الترابط" و "البينية" في العلاقات الدولية، فإن التداخل والترابط والبينية لا تخدم في قريتنا الكونية إلا أثرياءها وأباطرتها الجدد، ومن الصعب جداً لدول العالم الثالث أن تنفك من أسر هذه العلاقة غير المتكافئة، لأنها تغلغلت في بنية العلاقات الدولية.

ويرى العديد من علماء الاتصال أن تقنيات الاتصال باعدت الشقة - بإيقاع سريع - بين فقراء الكرة الأرضية وأثريائها، لأنها سهلت من حركة الاستهلاك الاقتصادي والهيمنة السياسية على المستوى الدولي، لصالح دول المركز[24]. وينادى هؤلاء بضرورة إعادة النظر في النظريات والمناهج القديمة، وتطوير النظريات والمناهج الحديثة، لفهم هذه الأوضاع ومن ثم معالجتها. ولم يفصلوا بين عدم التوازن المعلوماتي على المستوى الدولي، وآليات عمل النظام الدولي العالمي، بما فيها الدبلوماسية الحديثة. وقد اهتم Galtung بهذا الجانب بشكل أكبر، حين وصف النظام المعلوماتي والإعلامي العالمي بأنه أداة فى أيدي الصفوة في الدول الغنية، لتحريك مصالحها والمحافظة عليها، بواسطة صفوة في دول العالم الثالث تعتبر "جسرا" (Bridgehead elite) لمصالح الغرب وصفوته[25]. وتعد هذه المفاهيم تطويراً للنظرية البنيوية التي طرحها جالتونج نفسه في أوائل

السبعينيات، قبيل احتدام الحوار في اليونسكو حول النظام الاتصالي والمعلوماتي العالمي الجديد. وقد جادلت النظرية وقتئذ بأن العالم الصناعي يسعى لخلق صفوة متواطئة معه ومع مصالحه، بحيث يربط مصالح تلك الصفوة بالمصالح الكبرى للإمبريالية الدولية. وفي هذا السياق تحدثت النظرية عن وسائل الاتصال الدولي، ودورها الكبير في زراعة ثقافة "المركز" عند الصفوة المحلية فى الدول الفقيرة، بما سماه البعض "زراعة الثقافة" (Acculturation) في نفوس تلك الصفوة.

وفي هذا السياق تناول Galtung و Vincent ضرورة صياغة مفاهيم للصحافة الدولية، تجعلها أكثر عالمية وأكثر إنسانية، لتسهم في تصحيح الاختلال في ميزان القوى والثروة في العالم. ووصفا الصحافة الدولية الحالية، بما فيها صحافة دول العالم الثالث (المحتكرة من قبل الصفوة الخادمة لمصالحها ولمصالح الغرب) بأنها صحافة منحازة للغرب، وأنها ترى العالم والأحداث الجارية فيه بعيون غربية، لا شرقية ولا جنوبية، مما يغلّب مصالح الغرب في الخطاب الدولي، وبالتالي في السياسة والعلاقات الدولية [26].

ولكي نسهم في تطوير النظرية الدبلوماسية قاربنا بين ما سبق وبين آليات العمل الدبلوماسي في الوقت الراهن [27]. وطرحْنا في هذا السياق يؤكد أن دبلوماسيي دول العالم الثالث هم تماما مثل صحفييه، أي هم جزء من "الصفوة الجسر"، التي تخدم في نهاية المطاف مصالح الغرب، لامصالح بلادها، لأنهم يرون العالم بعيون الغرب. ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر، تبني الكثير من الدبلوماسيين في العالم الثالث لخطاب

الغرب حول "النظام العالمي الجديد" و "الشرعية الدولية"، دون التمعن في مغزى هذا الخطاب. وتبني الخطاب الغربي فيه تقمص لاشعوري للشخصية الغربية. فالنظام العالمي الجديد، كما سماه الرئيس الأمريكي السابق بوش، يعني المصير الحتمي لريادة وسيادة النموذج الغربي بقيادة أمريكا، وهو ما يسمى في الثقافة الأمريكية بالمصير الواضح (Manifest Destiny). و "الشرعية الدولية" تعني تستر المصالح الغربية بغطاء الأمم المتحدة (ولا أريد هنا أن أظلم الأمم المتحدة وإنجازاتها تحت هذا الشعار في العديد من المواقف، ولكني فقط أشير إلى استخدام هذا الشعار عند فرض العقوبات على العراق، وتجاهله عند التعامل مع إسرائيل مثلا).

وحين نقول إن الدبلوماسيين في دول العالم الثالث - بتبنيهم للخطاب الغربي - إنما يخدمون مصالح الغرب لا مصالح بلادهم، نعني أنهم يصنفون ويعالجون المعلومات عن الأحداث التي تدور من حولهم، بصورة تخدم النسق القائم الآن في العلاقات الدولية، وهو نسق مختل، وغير متوازن (لصالح الغرب). وهذا الاختلال لا يمكن أن يعالج بهذه المقاربة النظرية السريعة، بسبب تبسيطها للتعقيدات التي تكتنف النظام الدولي، خاصة جوانب التداخل والتبعية والبينية فيه. ولكن يمكننا أن نستخلص من هذه المقاربة ما يلي:

1. لخلق علاقات دولية متكافئة، لا بد من خلق وتطوير علاقات شعبية، أي بين الشعوب من هوامش "المركز" وهوامش "الهامش". مثل خلق وتطوير علاقات بين الأمريكيين من أصل أفريقي (هامش المركز)

وبين أترابهم في الريف الأفريقي (هامش الهامش). وتتيح وسائل الاتصال الدولي هذه المسألة بشكل كبير. يمكننا مثلاً أن نذكر حفلات "أطفال العالم" التي نظمتها مجموعة سمّت نفسها (Live Aid)، وغنى فيها فنانون عالميون لأطفال العالم، بهدف جمع المال لضحايا المجاعة في إثيوبيا وشرق أفريقيا. وشوهدت هذه الحفلات في أرجاء المعمورة بشكل عمّق من الإحساس بـ "الجماعية الدولية"، وبالتداخل والترابط خاصة بين هوامش العالم (الطريف أن كثيرا من الفنانين كانوا أمريكيين من أصول أفريقية، أي من هامش المركز. مثل مايكل جاكسون وستيف وندر، وأن معظم ضحايا المجاعة - المنتفعين من إيراد الحفلة الغنائية - كانوا ريفيين أفارقة، أي من هامش الهامش).

تدل تجربة Live Aid للدبلوماسية الحديثة على أن التبادل والتفاهم الثقافي يمكن أن يخلقا علاقات دولية شعبية، دون أن تؤثر مصالح الصفوة من مركز "المركز" ومركز "الهامش" بالسلب على المجموعات المهمشة في دول المركز ودول الهامش. فوساطة الحكومات والمؤسسات والشركات متعددة الجنسية لم تكن محسوسة ولامؤثرة في دعم هذا الجهد الإنساني. بيد أن أجهزة الإعلام والمعلوماتية يمكن أن تُسخَّر لخدمة هذا الهدف بالتعاون مع الدبلوماسية الرسمية. فمثلاً يمكن للدبلوماسيين أن يتفاعلوا بشكل أكبر مع المهنيين الإعلاميين والفنانين لتنسيق الجهود الثقافية - مثلما فعلت "Live Aid" - وتغليبها على النشاط الأيديولوجي السياسي.

وهذا بدوره يؤدي إلى جذب المشاعر الشعبية نحو "الاعتمادية التبادلية" (Interdependency) في عالم أصبحت فيه مقولة مارشال ماكلوهان عن "القرية الكونية" تتحقق كل يوم. فالكل يذكر أغنية We are the World التي نتج عن بثها في حفلات عديدة تجميع مبالغ ضخمة لمنكوبي الجفاف في إثيوبيا. ففي ذلك الجهد تضافر المجهود "الرسمي" مع "الشعبي" لانتشال أطفال هامش "الهامش" من موت محقق، وتم ذلك بترجيح واضح للجانب "الثقافي - الشعبي" على الجانب "الرسمي - السياسي".

ولكن ما أضعف من تعميم تلك التجربة هو أنها قامت عفوية بمبادرات فردية، ولم تدرس بالقدر الكافي بعد نجاحها ليتم تبنيها وإدراج نموذجها في العمل الدبلوماسي، الذي يقترب يوماً بعد يوم - بفضل وسائل الاتصال الجماهيري - من الخيارات الثقافية والشعبية. وأهمية تبني هذا الاتجاه من قبل الدبلوماسية الحديثة تكمن في ضرورة سحب البساط من الشركات متعددة الجنسية، التي سلّعت المادة الإعلامية، مما جعلها تعامل الثقافة كسلعة وصناعة سمتها الصناعة الثقافية (Cultural Industry) ، تزيد فيها من أرباحها مثلها مثل بقية السلع الاستهلاكية. وهذه الشركات تلعب دور الوسيط بين المادة الإبداعية الإعلامية ومستهلكيها، وتجني أرباحاً طائلة من وراء ذلك، بما يسهم في توسيع الشقة بين المركز والهامش. ونقترح أن تنتزع الدبلوماسية الحديثة هذا الدور وتفوت الفرصة على هذه الشركات، وتمنع خضوع العالم الثالث للمزيد من الفقر والروح الاستهلاكية

السلبية. ويمكن أن توجه عائدات الأنشطة الإعلامية والثقافية لأهداف الإغاثة والتنمية الدولية، بشكل يجعل ما كانت تجنيه الشركات متعددة الجنسية في مجالات الإعلام والثقافة يذهب لخدمة هذه الأهداف.

2. ما سبق يسوقنا للقول إن دور الدبلوماسية الحديثة يجب أن ينتقل من تمثيل المصالح الرسمية - التي هي في الغالب مصالح الصفوة - إلى تمثيل الثقافة القومية، والسعي لمعرفة القواسم المشتركة بينها وبين الثقافات الأخرى في نفس الوقت. فمن المؤكد أن الأمم تتناحر وتتباغض كلما ضعف الاتصال الثقافي بينها. ولا سبيل إلى مد جسور التعاون الاقتصادي والسياسي - بشكل يخدم مصلحتها جميعاً - إلا إذا توسعت دائرة التقاطع الثقافي بينها. ولا بد لهذا التوسع من آليات، من ضمنها الدبلوماسية الحديثة بوجهها الإعلامي الثقافي. ويمكن أن يسهم جهد الدبلوماسيين الثقافي والإعلامي بجانب الجهد الرسمي في خلق "عقل جمعي عالمي" (International Collective Mind) في المدى البعيد.

أما في الوقت الراهن فإن الرؤى والمصالح القومية الضيقة والتعريفات البالية "للهوية القومية" تطغى على العمل الدبلوماسي، وتحرك آلياته في محيط دولي يؤدي إلى تكوين "هوية عالمية"، إن جاز التعبير. ولم يعد هناك، مع تطور وسائل الاتصال، حيز لمثل هذا التفكير البالي. فقد كانت الدبلوماسية القديمة (وآثارها الحالية) عبارة عن "الشخصية القومية" مدوّلة أو معولمة، أما الدبلوماسية الحديثة فيجب أن تكون تفعيلا "للشخصية العالمية" على المستوى القومي أو

القطري [28] . أي أن الدبلوماسي الحديث يجب أن ينظر من منظور المنفعة الدولية أولاً، ثم يؤطر هذا المنظور ويطبقه على واقع المصالح المحلية لدولته، سواء كان الموضوع مكافحة التصحر، أو الإغاثة، أو المخدرات، أو الإرهاب، أوحماية حقوق الملكية الأدبية والفنية والفكرية والعلمية، أوشح المياه، أو حماية البيئة بشكل عام، أو الانفجار السكاني، أو التنمية الدولية.

إذا طغى مثل هذا التفكير على أهواء القومية والمحلية الضيقة، فإن عمل الدبلوماسيين والإعلاميين سيؤدي إلى تعميق فكرة "العقل الجمعي العالمي"، مما يجعل تقاريرهم عن الدول والثقافات التي يعملون فيها غير متأثرة بالانحيازات الثقافية الضيقة، والنظرة المحدودة للمصلحة القومية أو المحلية. وهذا يضفي حيادية على العمل الدبلوماسي، تؤدي في النهاية إلى خدمة المصلحة الدولية العامة، وتبعد الدبلوماسيين من إصدار الأحكام السطحية على الدولة المضيفة ومقدراتها وثقافة أهلها.

3. عبارة "النظام العالمي الجديد" كما أطلقها الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش ما زالت تبحث عن معنى. فهو يعني بها "الأحادية الأمريكية" التي تعرّف بها الولايات المتحدة النظام الدولي وتعيد صياغته وتسيطر عليه. وإذا تم تنسيق الجهود بين الأكاديميين من العالم الثالث من جهة، ورواد الثقافة الجماهيرية والدبلوماسيين والإعلاميين من جهة أخرى، ربما نستطيع أن نعرّف عبارة "النظام العالمي الجديد"، الخاوية الآن من المعنى الحقيقي لها.

وهذا لن يحدث إلا إذا تبنى الأكاديميون المهتمون بالشؤون الدولية نظريات ومناهج بحثية جديدة، تعم النشاط الدبلوماسي وأوجه التنسيق بينه وبين الثقافة الجماهيرية والإعلام. والمقاربة النظرية هذه ما هي إلا محاولة في هذا السياق، يرجو الكاتب أن تكون جزءاً من نشاط أكبر ينظم السلك الأكاديمي المهتم بالشؤون الدولية. ويجب أن يكون هدف هذا النشاط هو تعريف الأرضية المشتركة بين الدبلوماسية والعمل الإعلامي والثقافة الجماهيرية، بصورة تسمح في النهاية بتعبئة الهياكل الدولية الحالية وآلياتها - بما فيها الدبلوماسية - بمحتوى يجعلنا نخطو نحو "نظام عالمي جديد"، نظام تتاح فيه لكل شعوب العالم أن تتحاور وتتعاون من خلال ثقافاتها. وهذا يتطلب أن يفكر الأكاديميون في مناهج بحثية جديدة تقربنا أكثر من الإنسان العادي و "عالم حياته" (Life World). فالزمان الحاضر هو زمان الإنسان العادي - أو هكذا سيصبح - بفضل وسائل الاتصال الحديث. ولذلك يجب تبني مناهج تقربنا من الاستماع لهذا الإنسان العادي، مثل منهج "تحليل الخطاب" (Discourse Analysis)، ومنهج الفنمنولوجيا السيميائية (Semiotic Phenomenology). وهو منهج يهتم بعالم حياة المبحوثين (أي الناس الذين يُجرى عليهم البحث) ويتعمق في الرموز اللغوية وغير اللغوية التي يستخدمونها، ويعاملهم على أنهم شركاء في العملية البحثية. وكلا المنهجين يتيحان الفرصة للإنسان العادي ليقول ما لديه ويفرغ ما في جعبته، دون هيمنة استعلائية من قبل الباحث عليه، باسم "العلمية" و "المنهجية" و "الموضوعية". وبالتالي

تتاح الفرصة للمهمشين من الأفراد العاديين ليعبروا عن ذاتهم، بعد أن طالت عزلتهم بسبب المناهج الرقمية الوظيفية الرسمية، التي قلصت سلوكهم و "اتجاهاتهم" إلى جداول وأرقام.

لم تفلح مناهج الاستعلاء "العلمي" القديمة - حتى الآن - في تحقيق أهداف التنمية الدولية، بسبب قهرها للمبحوثين برؤية الباحث وإطاره الثقافي، واستحكام هذه الرؤية والثقافة على الصياغات الجاهزة التي يتلقاها المبحوث، ويجيب عليها بأي شكل يرضي الباحث (29).

أما "تحليل الخطاب" الدبلوماسي والإعلامي، ومعرفة "عالم الحياة" لمن تستهدف الدبلوماسية خدمتهم، فقد يكونان بعضاً من المناهج المفيدة لفهم المستجدات في الشؤون الدولية. فمثلاً منهج "تحليل الخطاب" ومدلولاته النظرية في رؤية "الآخر" قد تفيدنا في تحليل الخطاب الدبلوماسي الرسمي والخطاب الصحفي والإعلامي (بما في ذلك الثقافة الجماهيرية)، بصورة تجعلنا نفهم التداخل بين المحلي والدولي والشعبي والرسمي، والأنا والآخر، وبشكل يخدم في النهاية عملية التفاهم الدولي، التي هي هدف الدبلوماسية الحديثة ومبتغاها.

وفي هذا السياق يجد الكاتب نفسه متفقاً مع Galtung و Vincent اللذين اقترحا منهج "تحليل الخطاب" كبديل عن الأسلوب الإحصائي الوضعي القديم لتحليل الأخبار. وهما يقولان في هذا الموضوع بأن:

السياق الثقافي يعطينا فكرة واضحة عن كيفية هيمنة الخطاب (السائد) على صياغة النص الخبري. ويعطينا فكرة أيضاً عن كيفية إحالة النص إلى موضوع ذي قيمة إخبارية (بواسطة الخطاب السائد) . . . إن منهج تحليل الخطاب يساعد على فهم أعمق للخبر بإعادته إلى الجذور الثقافية التي نبع منها (ثقافة الصحفي). وهذه تجعلنا نرى علاقات جديدة (بين مكونات ومعنى الخبر ومدلولاته) كنا قد فشلنا في رؤيتها حين تمت (المناظرات الحادة) حول النظام الإعلامي العالمي الجديد في اليونسكو، في السبعينيات والثمانينيات[30].

هنا يتفق الكاتب مع يوسف الحسن ومع Hachten بأن الدبلوماسية والأخبار والثقافة أشياء متلازمة، لا ينفصل بعضها عن بعض. وبأن هذا الثالوث، وخاصة الثقافة، يشكل ويلون العلاقات الدولية من خلف كواليس الصحافة والدبلوماسية الرسمية والشعبية[31].

هذه هى التحديات المنهجية والنظرية التى تجابهنا كمعلمين لدبلوماسيي وإعلاميي وفناني عالمنا العربي. وجوهر هذا التحدي هو خلق شفافية ثقافية وحساسية وفهم نحو "الآخر" و"الاختلاف". بدون هذا لا تستطيع الأمة العربية أن ترى "غيرها" وتتفاعل معه، تأخذ منه وتعطيه، في ظل وضع دولي يحتم "التقارب" و "التلاقي" بفضل التطور المذهل لوسائل الاتصال. والقارئ للنص السابق يلاحظ أن الثقافة بدأت تأخذ مكاناً هاماً في مضامين نظريات ومناهج البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية. وربما يكون مناسباً أن نشير هنا إلى أن جوهان جالتونج (Galtung)، الإسكندنافي الأصل، كان عالم رياضيات، ثم تحول إلى عالم اجتماع (مما يعني أنه أتى من صلب المدرسة الكمية الوظيفية). ولكنه

اهتدى مؤخراً للمناهج والنظريات الثقافية، معلناً فشل المنهج الكمي والنظريات الوظيفية في الفهم المتكامل للسلوك البشري. فإذا كان هذا هو حال أحد رواد النظرية السياسية - الاجتماعية (Socio - political Theory)، فمن باب أولى أن يهتم المعنيون من دول العالم الثالث (بما فيه العالم العربي) بالثقافة، لأنهم أصحاب الشكوى من "الغزو الثقافي" و "الإمبريالية الثقافية"، وما شابه ذلك من العبارات التي تلقي بكل اللوم على "الآخر" وثقافته.

خاتمة : البعد العربي

في هذا الجزء نحاول أن نستنتج مما سلف بعض المؤشرات نحو مستقبل فاعل للدبلوماسية العربية، في ظل الواقع الإعلامي والمعلوماتي الحديث. وستكون الاستنتاجات مستلهمة مما أوردناه من تاريخ للدبلوماسية القديمة والحديثة، في سياق فهمنا لتأثير تطور تقنيات الاتصال على صياغة النظريات والمناهج البديلة، لفهم وشرح واقع الدبلوماسية العربية المعاصرة. ولكي نحقق هذه الغاية نقسم الاستنتاجات في النقاط التالية:

1. نتعلم من التاريخ أن دبلوماسية المهادنة والتفاوض هي الأنسب للأضعف في طرفي أي نزاع. فحين أدركت الإمبراطورية البيزنطية ضعفها العسكري إزاء أعدائها، لجأت إلى تطوير دبلوماسية التفاوض وجمع المعلومات عن العدو، وتحليلها ودراستها جيداً قبل اتخاذ مواقف مؤثرة على علاقاتها الخارجية. وقد كانت الإضافة الحاسمة والنافذة للدبلوماسية في ذلك العهد هي تأكيد الوسائل السلمية، من قبيل جمع المعلومات والتفاوض بديلاً عن الخيار العسكري. ويعلمنا التاريخ أن استخدام هذه الوسائل أدى إلى تكوين إمبراطورية بيزنطية ذات ثقل دولي كبير، بعد أن كان الكيان البيزنطي ضعيفاً، بالمقارنة مع الرومان الذين كانوا أقوياء عسكرياً. فحين لجأ الرومان إلى دبلوماسية "الإكراه" وفرض الأمر الواقع، في صيغة اتفاقيات مع الأطراف الأضعف، لجأ البيزنطيون إلى الحيلة والدهاء ودراسة أحوال وأفكار

واتجاهات العدو، بجمع المعلومات عنه ثم التفاوض معه، من موقف العارف بما تختلج به نفوس أعدائهم. وبذلك كسبوا كسباً جعلهم يبنون إمبراطورية ضخمة.

ولكي نجري مقارنة بين ذلك الواقع وواقعنا الحالي، نرى أن الطرف الأقوى في الصراع العربي - الإسرائيلي اليوم، من الناحية العسكرية والتقنية، هو إسرائيل. فهي تملك القدرة على صناعة واستخدام وصيانة تقنيات الاتصال والمعلومات، و كذلك السلاح المعتمد على هذه التقنيات. في حين أن العرب مستوردون لتقنيات الاتصال ولا يصنعون السلاح، ولايحسنون استخدامه (كما دلت التجارب في حروب عديدة خاضها العرب مع إسرائيل)، ولا يحسنون صيانته. ولذلك فالمنطق العسكري ليس في صالحهم. فإسرائيل - والغرب من خلفها - يقابلون شدة وعنفوان الرومان في العهود الغابرة. في حين أن العرب يقابلون البيزنطيين في ضعفهم. إسرائيل والغرب تفوقوا عسكرياً على العرب ويريدون (كالرومان سابقاً) أن يفرضوا واقعاً غربيا بالاتفاقيات (اتفاقيات السلام ومرامي الغرب لتحقيق نظام "شرق أوسطي"، يكون فيه لإسرائيل والغرب اليد الطولى في تحريك المنطقة ومقدراتها الاقتصادية، ومن ثم غرس كيانها الثقافي والحضاري)

والفرق بين العرب اليوم والبيزنطيين بالأمس هو أن الكثير من العرب ودبلوماسييهم إما مذعنون خائبون، موقعون للاتفاقيات مع إسرائيل بسبب القهر العسكري (المشابه للقهر الروماني)، أو رافضون

غاضبون حائرون، مدركون لمرامي الغرب وأهدافه من وراء إسرائيل، أو مهرولون لاهثون لاقتناص الفرصة، بالمهادنة الذليلة والمجاراة المهلكة للغرب. قليلون هم الذين يمكن أن نسميهم "بيزنطيي العرب". ونعني أن القليلين يدركون أن الوسيلة الاستراتيجية الهامة والبالغة التأثير - في عصر المعلومات والاتصال - هي القدرة على جمع المعلومات وتحليلها، ثم التفاوض وفق رؤية استراتيجية، تضع في الحسبان اتجاهات وأفكار الآخر وثقافته. من دون ذلك لن تستطيع الدبلوماسية العربية أن تضع خططاً للسياسة الخارجية مبنية على الفهم الاستراتيجي "للآخر" ومراميه. وواقع التخبط والعشوائية - في السياسات الخارجية العربية اليوم - شديد الوضوح، بما لا يحوجنا لسرد أمثلة عنه.

المفاوض العربي غير مسلح اليوم بالقدر الكافي، ولا بالمعلومات الكافية عن إسرائيل والغرب، ولا بالقدرة على تحليل معنى هذه المعلومات وصياغتها في تقارير ذات مغزى استراتيجي يخدم المرامي الحضارية للأمة العربية. والأدهى من ذلك أن البعض ما زال يعتقد أنه بوسع العرب أن يهزموا إسرائيل عسكرياً، ولم يعلموا أن إسرائيل نفسها - والغرب من خلفها - قد أدركت أن المنطق العسكري، رغم قدرتها على تحقيقه، أصبح غير مناسب لعصر الاتصال والمعلومات. فالعالم يشجب ويدين توجهات إسرائيل والغرب القمعية، ويصفها باللاإنسانية في عالم يسعى لأن يكون "قرية كونية" بسبب سرعة الاتصال ونقل المعلومات والمشاعر الوجدانية الشعبية. ويتحدث بعض قادة الرأي في إسرائيل عن شعور إسرائيل بأنها "وحيدة"، خاصة بعد

سقوط الثنائية القطبية، وتوجه بعض الدوائر في الولايات المتحدة نحو التخلي عن إسرائيل. ويسعى الغرب بشقيه - الأوربي والأمريكي - للنفاذ إلى العرب ومقدراتهم ووجدانهم ولكن بواسطة إسرائيل. وتدرك إسرائيل أنها أصبحت مضطرة للتخلي عن حلمها القديم (القادرة على فرضه بالقوة العسكرية في ظل ضعف العالم العربي) لإدراكها بأنها ستخسر أخلاقياً وستعزل دولياً، إذا طال تجبرها وقهرها وقهر الآلة العسكرية الغربية للعرب، لأن العالم بفضل وسائل الاتصال أصبح - أو كاد أن يصبح - قرية يتم فيها نبذ وإدانة الظلم وسفك الدماء والقهر بكافة أشكاله.

في ظل هذا الوضع يجب على الدبلوماسي العربي أن يعرف قدر أمته ووضعها، دون تهويل لحضارتها ومنجزاتها التاريخية ودون تقليل من شأنها. وكذلك عليه أن يعرف قدر الآخرين ومنجزاتهم الحضارية دون الانبهار بها لدرجة تعميه، ودون إغفالها لدرجة تبقيه أسيراً لأمجاد الماضي وإنجاز الآباء. وهذا يتطلب جهداً كبيراً في معرفة معطيات ووسائل عصر المعلومات. فلا سبيل إلى "معرفة" قدر أنفسنا وقدر الآخرين إلا بامتلاك الوسائل المؤدية لهذه المعرفة. ووسائل المعرفة لهذا العصر هي وسائل الاتصال والمعلوماتية الحديثة، والقدرة الفائقة على تمييز واستخدام ما يناسبنا من منتجاتها.

2. ذكرنا سابقاً إن الدبلوماسية المعاصرة قفزت قفزة كبيرة بدخول وسائل الاتصال الجماهيري (الراديو والتلفزيون) إلى حلبة الصراع الدولي. وأن ألمانيا النازية قويت ثم هُزمت بسبب الإذاعة وإسهامها في تيسير

الاتصال، داخل ألمانيا (بين هتلر وشعبه) وخارجها (بين حكومات وشعوب الحلفاء). كما أشرنا إلى أن وسائل الاتصال قد تخدم "الباطل" و "الحق" في سياق واحد. فكما حدث ذلك فى الحرب العالمية وما سبقها من حشد نازي، حدث أيضاً بدخول التلفزيون إلى حلبة الصراع بين الشرق والغرب بعد الحرب العالمية الثانية. فقد استُخدم التلفزيون كأداة لغرس الأيديولوجيا داخل الكتلة الشرقية، واستُخدم كأداة للاختراق من قبل الكتلة الغربية. وبتعاضد وسيلتي الإذاعة والتلفزيون، وحسن استخدامهما من الغرب، عرفت شعوب الكتلة الشرقية أن هناك نموذجاً آخر أكثر نجاحاً في ملء الأرفف باحتياجات إنسان القرن العشرين.

وقد عرف الدبلوماسيون الغربيون كيف يستخدمون هذه الوسائل كأدوات لتنفيذ السياسة الخارجية. والأمثلة التى سقناها عن Radio Liberty و Radio Free Europe تغنينا عن إيراد أمثلة أخرى في هذا الصدد. فقد كان الدبلوماسيون الغربيون ضالعين - بشكل مباشر أو غير مباشر - في صياغة وتوجيه محتوى برامج هذه المحطات الإذاعية بما يخدم السياسة الخارجية لدولهم.

أين نحن من هذا النموذج، والدبلوماسية الإعلامية لا تأتي من ضمن الأولويات في العمل الدبلوماسي العربي؟ وما زالت دبلوماسية البلاط والبروتوكول والنخبوية الثقافية تسيطر على الأداء الدبلوماسي العربي .يجب أن يهجر الدبلوماسي العربي هذه الدبلوماسية البائدة، إلى دبلوماسية تدرك حجم ونفاذ وسائل الاتصال الدولي، بشكل يجعله طرفاً منفعلاً وفاعلاً بها.

3. أما فيما يتعلق بتعامل الدبلوماسي العربي مع أدوات الدبلوماسية المعاصرة، فإننا نوصي بأن يكون التدريب الإعلامي والمعلوماتي طرفاً أصيلاً في التدريب الدبلوماسي. ويجب على المعاهد الدبلوماسية - في العالم العربي - أن تهيئ الكوادر لتدريب دبلوماسي عربي قادر على استخدام الحاسوب، وعارف بقوة هذه الأداة الخطيرة في رسم السياسات الاستراتيجية لعلاقات دولته مع القوى العربية الإقليمية من حوله، ومع القوى الإسلامية والعالم الخارجي. ويجب أيضاً أن يكون الدبلوماسي العربي عارفاً ومدركاً لأهمية اندماج تقنيات الحاسوب مع تقنيات الاتصال (التلفزيون والإذاعة والصحافة والهاتف) مما يسهل عملية الاتصال بين الدبلوماسي ووزارة الخارجية في دولته من جهة، وبين الدبلوماسي وشعب وحكومة الدولة المضيفة من جهة أخرى.

هذا التطور يتطلب - بالاضافة إلى التدرب على استخدام الحاسوب ووسائل الاتصال - القدرة الفائقة والسريعة على اتخاذ القرار، والحكم بشأن معلومة أو معلومات ذات علاقة بمصالحنا العربية، ووزن هذه المعلومة وتحليلها، حتى لا تفقد معناها بسبب تسارع الأحداث ورواياتها بواسطة وسائل الإعلام والمعلومات. ونقترح في هذا السياق أن تنشأ في كل معهد من معاهد الدبلوماسية في العالم العربي، وهي عديدة، أقسام للاتصال والمعلوماتية. ويجب أن تكون بعض أهداف هذه الأقسام كالآتي:

أ. تدريب كوادر دبلوماسية قادرة على التعامل مع أدوات العصر المعلوماتي، من حواسيب ووسائل اتصال جماهيري وغير ذلك.

ب. تكوين قواعد متجددة للمعلومات والبيانات عن الواقع المحلي والإقليمي والدولي.

ج. إجراء دراسات وبحوث عن البعد الاستراتيجي للمعلومات والمعلوماتية بشكل عام، وكذلك عن البعد الاستراتيجي للرسالة الإعلامية ووسائل الإعلام بشكل عام.

د. توثيق الصلة بين البحث العلمي والسياسة الخارجية وأدوات تنفيذها.

4. وتأكيداً على الهدف الأخير في النقطة (3) السابقة، نقترح على الأكاديميين العرب - المعنيين بالدبلوماسية - أن يشغلوا أنفسهم بطرح بدائل نظرية ومنهجية تخرجهم من أسر الأطر القديمة، خاصة الأطر الوظيفية التي تنادي بضرورة إبقاء الواقع كما هو، حتى لا يختل "النظام" الاجتماعي والسياسي الدولي. فالنظريات والمنهجيات الوظيفية تأبى الدعوة للتغيير، بافتراض قدرة "النظام" على أن يصحح نفسه ذاتياً، ووفقاً لهذه النظرة فليس هناك حاجة للتدخل الخارجي لإحداث تغيير. ولذلك ظلت النظريات والمنهجيات الداعية للتغريب والتحديث (Modernization and Westernization) تدعو إلى تصدير النموذج الغربي، باستثمار العلاقات الدولية و"النظام" القائمين دون إرباكهما. وهذا - أي المنهج التنموي الوظيفي القديم - أدى إلى دعم العلاقة غير المتكافئة، القائمة بين الشمال والجنوب، أي بين المركز والهامش. ولكي يخرج العالم الثالث - بما فيه كل الأقطار العربية - من هذه الدائرة الشريرة التي تدور لصالح

الشـمـال، لا بد من نظريات ومناهج تنبع من صلب العـالـم الثـالث، يتـعـاون فـيـهـا الأكـاديميون من العـالـم الثـالث، ومن يرى بعـيـونهـم من الأكاديميين الغربيين وهم كُثر.

وهناك من الأكـاديميين و المثقفين العرب من يبادر ويخـاطر بأفكار جـديدة، ولكن هذه الأفكار لاتلبث أن تموت، بسـبب عـدم اعـتـراف كـثـير من المسؤولين بالبحث العلمي والجـهد الثـقافي كـروافد للفكر الاستراتيجي العربي. وهنا أردد مع حيدر إبراهيم علي أن :

> الثقافة الآن تأتي بعد كل المشروعات الأخرى، والتي تسمى أحياناً استراتيجية. ولم تدخل الثقافة بعد ضمن العناصر الاستراتيجية في سياسة الدولة العربية. لذلك، قبل أي حديث عن تجديد مضمون الثقافة، لابد من تجهيز الأسس المادية، ووضع سياسة ثقافية تقع في قلب خطط التنمية المعلنة، في موقع واحد مع الدفاع والأمن والتعليم والصحة (32).

وأجد نفسي في هذه الخاتمة أقترح على الأكـاديميين العرب - المعنيين بالتجديد في علم الاتصال والعلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى - الاهـتـمـام بالنظرية والمنهج الثـقـافي ـ النـقـدي، حـتى نهـيئ أنفـسنا لاستـحـداث نظريات ومناهج بحثـيـة تتناسب مع هذا الزمان، زمان " الإنسان العربي العادي " . ويجب على المناهج والنظريات الجديدة أن تُعلي وتُسمع صوت هذا الإنسـان العربي العـادى، حتى تصـاغ آماله وأحلامه وأهدافه في شكل خطط استراتيجية، تخدمه وتخدم السياسة الخـارجـيـة لدولتـه، بشكل يتناسب مع تلك الأحـلام والآمـال

والتطلعات. وحتى لا نستمر في رؤية حاضرنا بعيون الأموات، و "لكي نوثق صلتنا بالحاضر يجب ألا نرى حياتنا بعيون الموتى" كما يقول حيدر إبراهيم علي [33]. وهو يعني بذلك أن يكون أي تفسير للظواهر الراهنة مستنداً إلى أدوات هذا العصر ومنظوره، لا على أدوات الماضي والموروث فقط. والموروث والماضي بلا شك مهمان، ولكن من يبقى أسيرهما لا يستطيع أن يعيش حاضره، ومن لا حاضر له لا مستقبل له.

هذه هي أهم التحديات التي تجابه الدبلوماسية العربية (التي ما زالت خاضعة للأطر التقليدية). وهي تحديات جسام تحتاج مجابهتها إلى حشد القدرات البحثية والتطبيقية، المادية والمعنوية، التي تناسبها في الجسامة.

الهوامش

1. نبيل علي، العرب وعصر المعلومات، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - سلسلة عالم المعرفة)، ص 27 - 28 .

2. راجع :

Haydar B. Sadig. "International Relations and Satellite Communication: Toward a New Understanding of Diplomacy in the Information Age", *Journal of Humanities and Social Sciences* - U.A.E. University (11), no. 1 (1995) : 1-11.

3. راجع :

Harold Nicolson. *Diplomacy*, (London: Oxford University Press, 1969), 9.

4. راجع :

C. Roetter. *The Diplomatic Art*, (London: Sigwick, 1965),11.

5. عدنان البكري. العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، (بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1986)، ص 24 .

6. للمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى :

Charles Thayer. *Diplomat*, (New York: Harper, 1959).
George Ball. *Diplomacy for a Crowded World*, (Boston: Little, Brown and Company, 1976).

7. البكري، العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، مرجع سابق، ص 29 .

8. راجع :

Ranger Numelin. *The Beginning of Diplomacy* (New York: Philosophical Library, 1950), 17.

9. راجع :
يوسف الحسن، نحو دبلوماسية عربية معاصرة، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1994) ، ص 72.
البكري، العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، مرجع سابق، ص 31-32 .

10. راجع :
حسن الحسن، التفاوض والعلاقات العامة، (بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1993)، ص 40.
البكري، العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، مرجع سابق، ص 51-43 .

11. راجع :

James MacCamy. *Conduct of the New Diplomacy,* (New York Harper and Raw,1964), 7.

12. راجع :

Time. (Vol. 146 No. 8, August 21, 1995) : 23.

13. كولن باول، "رحلتي الأمريكية" ، الاتحاد (يومية إماراتية)، 1 تشرين الأول/ أكتوبر 1995، ص 13.

14. كرم شلبي، الإعلام والدعاية في حرب الخليج، (القاهرة : مكتبة التراث الإسلامي، 1992)، ص 4 - 15.

15. راجع :

Newsweek. (Gulf War Commemorative Edition, Spring/Summer 1991) :80-87.

16. راجع :

Howard Frederick. *Global Communication and International Relations*, (Belmont, CA : Wadsworth Publishing Company, 1993), 225.

17. راجع :

Sadig. op.cit. : 1-5.

18. راجع :

Ibid, 1

19. راجع :

Newsweek. op.cit.: 84.

20. راجع :

Ibid : 85-86.

21. راجع نصوص الخطابات المذكورة في :

كرم شلبي، الإعلام والدعاية في حرب الخليج، (القاهرة : مكتبة التراث الإسلامي، (1992) .

22. راجع :

Molefe Asnate, and W. B. Gudykunst (eds.). *Handbook of International and Intercultural Communication*, (Newbury Park: Sage Publications, 1989).

23. راجع :

Cees Hamelink. "Information Imbalance: Core and Periphery", in J. Downing, A. Mohammadi and A. Sreberny-Mohammadi (eds.). *Questioning the Media: A Critical Introduction*, (Newbury Park: SAGE Publications, 1990) : 217-228.

24. للاستزادة حول هذه النظرية و أبعادها راجع :

- Peter Golding. "Whose world, What Information, Which Order? Rethinking NWICO in the 1990s", *Media Development* (38), no. 3 (1991) : 46-49.
- Omer Oliveira. "Media Dependency: A View from Latin America", *Media Development* (36), no. 1(1989) :10-13.

25. راجع :

Johan Galtung. "Theory of Structural Imperialism", *Journal of Peace Research* (8), no. 2 (1971) : 81-117.

26. راجع :

Johan Galtung and R.C. Vincent. *Global Glasnost: Toward a New World Information and Communication Order?*, (Cresskill, NJ: Hampton Press, 1992).

27. راجع :

Sadig. op.cit. : 3-6.

28. راجع :

Ibid, 9.

29. تناول الكاتب هذا الموضوع بشكل أوفى في أطروحة الدكتوراه التي تقدم بها لجامعة أوهايو بالولايات المتحدة الأمريكية، ويرد توثيقها كالتالي :

Haydar B. Sadig. *Cross-cultural Communication and Double-consciousness: African Student Experiences of U.S. Media and* Culture, (An Unpublished Ph.D. Dissertation. Athens, OH, U.S.A. : Ohio University, 1992), 75-93.

30. راجع :

Galtung and Vincent, op.cit., 58.

31. يوسف الحسن، نحو دبلوماسية معاصرة، مرجع سابق، ص15 .
وراجع كذلك:

William Hachten. *The World News Prism*, (Ames: Iowa State University Press. 1987), 89-106.

32. حيدر إبراهيم علي، "المثقف العربي: نحو دور فاعل في ثقافة جديدة"، ورقة قدمت في ندوة أقيمت على هامش المعرض الدولي للكتاب - الشارقة (تشرين الثاني/ نوفمبر، 1995)، ص 13 .
33. المرجع السابق، ص 12.

المراجع

باللغة العربية

البكري، عدنان. العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1986).

الحسن، يوسف. نحو دبلوماسية عربية معاصرة، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1994) .

الحسن، حسن. التفاوض والعلاقات العامة، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1993) .

باول، كولن. " رحلتي الأمريكية. " الاتحاد (يومية إماراتية)، 1 تشرين الأول/ كتوبر 1995 .

علي، حيدر إبراهيم. " المثقف العربي : نحو دور فاعل في ثقافة جديدة" . ورقة مقدمة على هامش المعرض الدولي للكتاب - الشارقة، (تشرين الثاني / نوفمبر 1995).

شلبي، كرم. الإعلام والدعاية في حرب الخليج، (القاهرة : مكتبة التراث الإسلامي، 1992).

باللغة الإنجليزية

Asnate, M. and W. B. Gudykunst (eds.). *Handbook of International and Intercultural Communication.* Newbury Park: Sage Publications, 1989.

Ball, G. *Diplomacy for a Crowded World.* Boston: Little, Brown and Company, 1976.

Frederick, H. *Global Communication and International Relations.* Belmont, CA: Wadsworth Publishing Company, 1993.

Galtung, J. and R.C. Vincent. Global Glasnost: *Toward a New World Information and Communication Order?* Cresskill, NJ: Hampton Press,1992.

___ " Theory of Structural Imperialism." *Journal of Peace Research* (8), no. 2 (1971): 81-117.

Golding, P. "Whose World, What Information, Which Order? Rethinking NWICO in the 1990s." *Media Development* (38) no. 3 (1991): 46-49.

Hachten, W. *The World News Prism.* Ames: Iowa State University Press, 1987.

Hamelink, C. "Information Imbalance: Core and Periphery." In J. Downing, A. Mohammadi and A. Sreberny-Mohammadi (eds.) *Questioning the Media: A Critical Introduction.* Newbury Park: SAGE Publications (1990), 217-228.

MacCamy, J. *Conduct of the New Diplomacy.* New York: Harper and Raw, 1964.

Newsweek. (Gulf War Commemorative Edition, Spring/Summer 1991).

Nicolson, H. *Diplomacy.* London: Oxford University Press, 1969.

Numelin, R. *The Beginning of Diplomacy.* New York: Philosophical Library, 1950.

Oliveira, O. "Media dependency: A View from Latin America." *Media Development* (36) no. 1(1989) : 10-13.

Roetter, C. *The Diplomatic Art.* London: Sigwick, 1965.

Sadig, H. "International Relations and Satellite Communication: Toward a New Understanding of Diplomacy in the Information Age." *Journal of Humanities and Social Sciences* - U.A.E. University (11), no. 1 (1995) : 1-11

— *Cross-cultural Communication and Double-consciousness: African Student Experiences of U.S. Media and Culture.* An Unpublished Ph.D. Dissertation. Athens, OH, U.S.A, 1992. Ohio University.

Thayer, C. *Diplomat.* New York: Harper, 1959.

Time. (Vol. 146 No. 8, August 21, 1995).